البراديغمات المسيطرة
في علوم الإعلام والإتصال
وإشكالياتها المعرفية

د. حسين سعد

2011/03/19

البراديغمات المسيطرة في علوم الإعلام والإتصال وإشكالياتها المعرفية

(مساهمة في الحلقة البحثية بعنوان «البراديغمات العلمية» لطلاب الدكتوراه اللبنانية بتاريخ 2011/3/19)

د. حسين سعد

قادت البزوغات (Émergences) التي أسفرت عنها الثورات المتتالية في علوم الطبيعة(*)، والعلوم الدقيقة(**)، إلى تعاقب مناهج الدراسة العلمية، والأبحاث على اختلافها.

إنّ عودة سريعة إلى تطور الإبستمولوجيا (l`épistémologie)، من المدرسة التجريبية (L`empirisme)، إلى التطوّرية (L´évolutionnisme). مروراً بالوضعية (le positivsme)، وصولاً إلى المدرسة الثورية (le revolutionnisme) تنير أمام الباحث الرؤية لمعرفة أو تفسير تطوّر البحث بدلالة «البراديغمات» مقابل تفسير تقدُّم العلم بدلالة المبادئ[1].

كان من نتائج هذا التحوّل أو «الفتح العلمي»، المرتبط بالنتائج الباهرة التي تمخضت عنها فلسفة العلم، ظهور «البراديغم» ليشمل علوم الإنسان بالمجتمع..

مع ظهور «البراديغم» خرجت المعرفة من الحتمية، واليقينية، وتكسَّرت المبادئ المطلقة في تفسير الظواهر، وفهم العالم، وكادت النظرة القائمة على «التراكم المعرفي «أن تختفي، لتحلّ مكانها النظرة إلى «الإنموذج» المعرفي، الذي يشكّل نظرة جديدة إلى الأشياء نفسها..

(*) علوم الطبيعة (sciences de physiques)، ويقصد بها: علوم الفلك، والطبيعيات، والكيمياء إلخ..

(**) العلوم الدقيقة (sciences strictes)، ويقصد بها: علوم الرياضيات.

(1) المبادئ أو القوانين العلمية الكلية، التي ترتبت على المدرسة التجريبية. وكانت حصيلة العلم من القرن السابع عشر الى القرن التاسع عشر. وتعتمد المنهج الإستقرائي في البحث وصولاً الى النظرية أو القانون العلمي أو المبدأ الكلي، الشمولي. الذي ينطلق منه الباحث أو العالم في البحث وتحديد المفاهيم، باعتبار انه ينطبق على كل الحالات المماثلة في الزمان والمكان. والإشكال: كيف يمكن الإنتقال من عدد محدود من الحالات الى تلك الصيغة الكلية (القانون العلمي) وبأي حق نحكم مما رأيناه على ما لم نره؟ (يراجع هامش، ص٧٢ من كتاب فلسفة الكوانتم لرولان أومنيس، الترجمة العربية).

حاولت العلوم الإنسانية والإجتماعية أن تحتذي حذو العلوم الطبيعية والرياضية في بناء مناهجها ومعارفها. «وطالما كانت العلوم الطبيعية هي الأكثر تقدماً ونجاحاً بين العلوم، فلا بدَّ أنها النموذج الذي يقاس عليه (أي البراديغم) للمعرفة العلمية»[1].

وهذا يفترض، طرح السؤال وتجاوزه: هل تنتسب العلوم الإنسانية والإجتماعية إلى نسق العلم الحديث؟[*] ويرتبط به سؤال آخر: هل ينتسب علم الإعلام والإتصال إلى العلوم الإنسانية والإجتماعية؟ وهل لديه «البراديغمات» الخاصة به، أم أنه ما يزال «عيالاً» على العلوم التي سبقته؟

ربَّما تحتاج هذه الأسئلة - التي هي بحدّ ذاتها- ملتبسة، أو «مؤشكلة» إلى أكثر أكثر من بحث أو معالجة، لذا يصير «التجاوز» حلاً مؤقتاً، لئلا يذهب الإهتمام إلى مسالك أشبه «بالمتاهات» أو السلوك المفضي إلى الضياع والتشتت.

ومع ذلك، يمكن إختصار الإجابات بكلمتين: نعم ولا.

نعم ينتسب علم الإجتماع إلى نسق العلم، الحديث، وينتسب علم الإعلام إلى العلوم الإنسانية والإجتماعية. ولا تعود إلى عدم تخصص علوم الإعلام والإتصال ببراديغمات خاصة، فلجأت إلى العلوم الناضجة، سواء في الرياضيات أو علمي الإجتماع والنفس، لرسم خارطة «براديغمية» معرفية في دراسة الظاهرة الإتصالية أو الظاهرة الإعلامية.

ولا عيب، في ذلك، فالباحث في علم الإجتماع، الإنكليزي إيان كريب (Ian craib)، والمحاضر في جامعة إكسس في بريطانيا، يلاحظ أن «من المفارقات أن أحد أهم الكتب المؤثرة في علم الإجتماع منذ الثلاثين سنة الماضية، لم يكن في علم الإجتماع على الإطلاق، بل في تاريخ العلوم الطبيعية، أقصد كتاب توماس كون (the structure of scientific revolutions) (بنية الثورات العلمية) [**]

---

(1) صلاح قنصوه، **الموضوعية في العلوم الإنسانية**، ص116.

(*) نسق العلم الحديث: النسق العلمي، بنية داخلية، هو «منظومة معرفية متوالية من القضايا المنهجية، تحمل مضموناً إخبارياً وقوة تفسيرية وطاقة تنبئية منصبة على العالم الذي نحيا فيه، فتجعل الفعل البشري يحكم قبضته عليه». (يمنى طريق الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، ص76).

(**) من أحدث الترجمات العربية للكتاب، الترجمة الصادرة عن المنظمة العربية للترجمة، وقام بها د. حيدر حاج اسماعيل، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، أيلول 2007.

ويمكن الإضاءة على الإنجاز التاريخي، والمعرفي، والميتودولوجي لتوماس كون[*] «Thomas Kun» من خلال النقاط الآتية:

1- إعادة الإعتبار للمنهج التاريخي في ضبط سيروات المعرفة العلمية، فالعودة إلى تاريخ العلم قادته إلى مراجعة فلسفة العلم أو نظرية المعرفة العلمية (الإبستمولوجيا)، وفتحت الطريق لاكتشاف موقع «البراديغم» (Paradigme) في النظريات العلمية.

2- والعودة إلى التاريخ، من شأنها أن تجري مراجعة لنشأة العلوم وتطورها، وإجراء الأبحاث وفقاً لنظرية «البراديغم»، فيتأثر العلم اللاحق بالعلم السابق.

3- سيفتح هذا المنهج، السبيل، أمامنا لاستعارة «براديغمات» الرياضيات، وعلم النفس، والمنطق، وعلم الإجتماع والأنتربولوجيا، والسيمولوجيا، واللغويات الخ.. بالنظر إلى أن «الإتصال تطوّر مستفيداً، من إسهام ميادين عدّة للمعارف. إن الإتصال، هو، إذاً، علم ملتقى، (Science jonction)، حيث أن المصدر يمكث في خاصية، الإنتقال، والتعدُّد، وتداخل الأنظمة[1].

4- ليس من الغرابة أن تكون بعض أقسام علم الإجتماع تفتقر إلى «البراديغم، وفي المحصلة لا ترتقي إلى مصاف العلم[2]».

5- وهنا، يضحي من المشروع أن نتساءل: هل اكتسبت علوم الإعلام والإتصال مشروعيتها، من انتسابها إلى العلوم، السابقة عليها، (لا سيما علمي النفس والإجتماع)، لئلا تفقد حقها بالإنضمام إلى نادي العلوم النسقية الحديثة؟

وفي السياق، قد يكون من المفيد، قبل ولوج البحث التوقف عند مسألتين:

1- المسألة الأولى: طبيعة «البراديغم»، واستخداماته العلمية 2- والمسألة الثانية: طبيعة الإتصال وتداخلاته مع العلوم المترابطة:

أولاً: **طبيعة «البراديغم»:** قبل البدء بتحديد مفهوم «البراديغم» في البحث العلمي، تمهيداً لمحاولة تعيين خصائص «البراديغم» في إطار النظر إلى «النظريات العلمية كبنيات» (Les théories comme structures). نقتبس مقطعاً

(*) توماس كون (1922 – 1996)، فيلسوف أميركي، درس فلسفة العلوم وتاريخ العلوم، من أشهر كتبه **بنية الثورات العلمية**.

(1) Alain Laramée et Bernand vallée, La Recherche En communication élements de méthodologie, p78.

(2) Alan Chalmers, Qu'est- ce que la science?. P152.

من تصدير، ذي دلالات، كتبه كون نفسه لكتابه «بنية الثورات العلمية» عام 1962. وفيه يروي كيف قاده قضاء عام في مركز الدراسات العليا في قسم العلوم السلوكية، بعد دراسة تاريخ العلم، إلى التعرُّف إلى متحدّ علمي (جماعة علمية)، تألف في أغلبه من علماء إجتماع، وظهرت له، بعدها، فروق بين متحدات علماء الإجتماع ومتحدات علماء الطبيعة. لجهة المجادلات حول الأساسيات من الأمور، التي تبدو اليوم، محصورة في أوساط علماء النفس وعلماء الإجتماع. «وإن محاولتي الكشف عن مصدر ذلك الإختلاف قادتني إلى أن أدرك الدور الذي يلعبه في البحث العلمي ما سميته منذ ذلك الحين «بالبراديغمات»، وقد اعتبرت هذه انجازات علمية معترف بها عالمياً، بحيث أنها وفّرت ولمدة من الزمن مسائل براديغمية وحلولاً لهذا المتحدّ من المشتغلين في العلم[1].

يستفاد مما تقدَّم:

1- الجدل القائم بين علماء العلوم الإنسانية والإجتماعية، حول المبادئ الأساسية لمنطلقات البحث وأسسه (Le fondements).

2- دور «البراديغمات»، في معالجة الشطط المترتّب على هذا النوع من الخلافات الجوهرية. بمعنى تحوُّل البراديغم إلى مرجع لقيادة الأبحاث في ميدان من ميادين المعرفة الإنسانية.

3- الحديث عن «المسألة البراديغمية»، أي النظرية المتفق عليها.

4- ظهور مصطلح الجماعة العلمية أو المتحدّ العلمي، وهو سلطة معرفية، تمارس عبر الإتفاق أو قبول البراديغم.

تمارس عبر الإتفاق أو قبول البراديغم.

يعتبر آلان ف. تشالمرز (Alan F. Chalmers) أن من بين الأسباب التي قادت لرؤية «النظريات كبنيات» مستمد من تاريخ العلوم (Les théories comme structures).

«إن الدراسة التاريخية تظهر أن التطور (L´évolution). والتقدُّم (Progrès) العلميين، الأكثر أهمية، تكشف عن بنية، تفلتت من الإستقرائية (L´inductivisme) أو التكذيبية (Falsificationisme) [2].

---

(1) كون، **بنية الثورات العلمية،** ص 44.

Alan Chalmers, Qu’est- ce que la science? . P132. (2)

إن نموّ «برنامج البحث» لنظرية كوبرنيك (théorie de copernic)

منذ أكثر من قرن، يقدّم لنا مثالاً، لكن التاريخ ليس وحده من يقدّم الحجة من أن النظريات ذات كليّة مركّبة.

يوجد، أيضاً، اعتبار آخر، فلسفياً، أكثر عمومية، وهو عدم تعلق الملاحظة بالنظرية. والخلاصة أن المصطلحات الدقيقة والمفاهيم المترابطة بالنظرية تمتلك دقة وقيمة إخبارية مساوية للنظرية عندما تستخدم اللغة.

إن مفهوم نيوتن(*) للكتلة (masse) له معنى أكثر دقة من مفهوم الديمقراطية (Démocratie) «إني أظن أن المفهوم الأول (الكتلة) يلعب دوراً مختصاً في نظرية محدَّدة، بنيوية، هي ميكانيكا نيوتن (la mécanique newtonienne) (1)».

خلاف ذلك، فإن النظريات،حيث ظهر مفهوم ديمقراطية، كانت غامضة ومختلفة، وإذا جرى قبول هذا الربط بين دقة المصطلح أو «اللفظة»، والوظيفة التي يلعبها داخل النظرية، عندها تفرض ضرورة النظريات المركبة نفسها بصورة منسجمة.

يمكن النظر إلى استقلال دلالة المفاهيم عن بنية النظرية فيها، واستقلال دقة المفاهيم الأولى، عن دقة درجة الإنسجام داخل النظرية من طرق أخرى محدودة، حيث نضفي معنى على مفهوم ما.

وتتركز، إحدى هذه الطرق، على اعتبار أن المفاهيم (Concepts) تكتسب معانيها بواسطة التعريف (Définition).

إن التعريفات يجب أن تستبعد بقدر ما تكون إجراءات أساسية لبلوغ المعاني. إن المفاهيم يمكن أن تعرَّف بحدود مفاهيم أخرى.، حيث تعطى المعاني. والمعجم، ليس مفيداً،إذا لم نعرف سلفاً المعنى لكلمات عدَّة.

لم يتمكن نيوتن من تعريف الكتلة (masse) أو القوة (force) من مفاهيم سابقة على المفاهيم النيوتينية، لقد تجاوز النظام القديم مطوراً نظاماً جديداً.

الطريقة الثانية هي التي ترتكز على اعتبار أن معاني المفاهيم أنجزت

(*) إيزاك نيوتن (Izac Newten) (1642-1728). عالم الفيزياء الشهير. مكتشف قانون الجاذبية. قال بالمكان والزمان المطلقين. من أهم كتبه المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية (1687) والبصريات (1704)..

(1) Alan Chalmers, p123.

بواسطة الملاحظة، وبواسطة التعريف الظاهر (Définition ostensive).

والصعوبة، هنا، أن الملاحظة، مهما كبرت، لا يمكن أن تؤدي إلى كنه «التعريف». فمعنى «الأحمر» (Le rouge) يستخلص من عدة تجارب استقرائية، من «أشياء حمراء»، بحيث يكون «الأحمر» الشيء المشترك فيها.

ولا يمكن استخلاص مفهوم «الكتلة» (masse) بالملاحظة وحدها، مهما كانت ملاحظة «طابات البليارد»، وأوزان الرسورات، وأفلاك المدار.. لا يمكن تعلُّم معنى الكتلة.

قاد النظر إلى النظرية كبنية توماس كون إلى إعلان أن العلم الناضج يقاد ببراديغم وحيد(*) (paradigne unique).

يعرّف «البراديغم» المعيار، الذي يضفي الشرعية على النشاط داخل المجال العلمي، ينسِّق ويوجه عمل العاملين في العلم العادي، الذي يرتكز على «حلّ الألغاز» (la résolution d´énigmes) في المجال العلمي المعني.

إن وجود «براديغم» جدير بمساندة التقليد العلمي العادي، هو الخاصية التي تميّز العلم من اللاعلم (non-science).

«تشكّل ميكانيكا نيوتن (la mécanique newtonienne) والضوء الموجي optique ondulatoire) والكهرومغناطيسية (l´électromagnétisme) «براديغمات» وما تزال. فهي جزء من العلم. لكن قسماً كبيراً من السوسيولوجيا (La sociologie) الحديثة تفتقر إلى «البراديغمات»، فهي، والحال، لا ترتقي إلى مصاف العلم (1).

استدرك كون في حاشية كتابه «بنية الثورات العلمية» أن «ثمة صعوبات وسوء فهم (2)» لاستخدامات متعددة للفظ «براديغم»، لذا أشار إلى مصطلحين، مقترحاً فصلهما، في معرض البحث عن طبيعة «البراديغم» الاستعمال العام، والاستعمال كمثال.

(*) منذ أن كتب «بنية الثورات العلمية»، عاد كون واعترف انه استخدم كلمة «براديغم» في معنى مبهم، غامض (ambigu). في حاشية طبعة عام 1970، ميّز معنى واسعاً للفظة (terme)، حيث سماها من الآن وصاعداً بالقالب الإنضباطي (la matrice disciplinaire)، ومعنى حصري مثال (exemple).

Chalmers. Ibid, p152 . (1)

(2). كون، م.ن. ص 289.

ويقترح تسمية الاستعمال العام، أو نظرية من النظريات وهي المشترك بين أعضاء متحد علمي بـ «مصفوفة ذات إطار نظامي [1]». تتألف من عناطر منظمة من أنواع عدة، هي براديغمات أو ذات علاقة ببراديغم، أو أجزاء من براديغمات وهي نظام خاص بين الممارسين داخل جماعة علمية.

1- النوع الأول من المكوّنات «للمصفوفة ذات الإطار النظامي» أو «القالب الإنضباطي» هي «التعميمات الرمزية»، وهي المكوّنات الصورية القابلة للصياغة بصورة مباشرة للمصفوفة ذات الإطار النظامي، «وهي توجد كصورة رمزية مثل F=ma، القوة F (force)، m=masse: الكتلة، a accélération = التسارع، أو توجد كلمات مثل: الفعل يساوي ردّ الفعل، أو «تتحدد العناصر بنسب ثابتة من الأوزان».

وهذه التعميمات الرمزية تشبه «قوانين الطبيعة»: إمَّا على شكل قانون ($H=RI^2$)، فأعضاء المتحد يعرفون دلالات الأحرف: الحرارة: H =R، التيار الكهربائي، I مقاومة السلك الناقل، وإمَّا على شكل تعريف[2].

إن «البراديغمات» تتضمن أدوات معيارية لتطبيق القوانين الأساسية على أوضاع كثيرة مختلفة.

2- النوع الثاني: من مكوّنات المصفوفة ذات الإطار النظامي، هو المكوّن الذي يشمل «الأجزاء الميتافيزيقية للبراديغمات»، أو «البراديغمات الميتافيزيقية»، أو معتقدات ببراديغمات خاصة[3]» وهذه عبارة عن مبادئ ميتافيزيقية عامة توجّه عمل المتحد العلمي داخل «البراديغم» أو النظرية المعمول بها.

إن براديغم» نيوتن قاد الأبحاث بافتراض شبيه بتلك «المبادئ الميتافيزيقية»: إن كليَّة العالم الطبيعي يجب أن تشرح كأنها جهاز ميكانيكي، يتحرك بتأثير قوى مختلفة، تستجيب لمتطلبات قوانين الحركة عند نيوتن[4]». وقوانين الحركة عند نيوتن، التي وضع لها الصياغات الرياضية الدقيقة»:

1- كل جسم يظل على حاله سكوناً أو حركة في خط مستقيم ما لم يجبره

---

(1).كون، م.ن. ص 300.

(2) كون، م.ن، ص 301.

(3) كون، م.ن، ص 303.

(4) chalmers, qu’est-le que la science?, p153.

مؤثر خارجي على تغيير حالته، وهذا هو قانون القصور الذاتي[*]. «inertia».

2- معدل التغيّر في العزم كمية التحرك (Momentum) يتناسب مع القوة المؤثرة في الجسم، ويكون اتجاه العزم هو نفسه اتجاه القوة المؤثرة.

3- لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومعاكس في الإتجاه[1]».

ويوضح كون فكرته عن «البراديغمات الميتافيزيقية» بالنظرة إلى العالم بعد العام 1630، وخاصة بعد كتابات الفيلسوف والعالم ديكارت[**]، الذي افترض أن العالم مؤلف من جسيمات مجهرية (ميكروسكوبية)، وأن كل ظواهر الطبيعة يمكن شرحها بلغة الجسيمات ومقدارها وحركتها وتفاعلها.. والأكثر أهمية هو أن التطوُّر الجسيمي للعالم علَّم العلماء ما يجب أن يكون عليه الكثير من مسائل بحثهم[2]».

وتشتمل جميع البراديغمات على بعض الطرائق المنهجية القديمة ذات الصفة العمومية من نوع: إبذل جهداً لترى تناسباً (تطابقاً) بين «البراديغم» الذي تعتمده والطبيعة.

ومن الطرائق المنهجية أن «كن جدياً تجاه إخفاقاتك في إقامة التطابق بين «البراديغم» والطبيعة[3].

إن العلم العادي (Science normale) يجهد في صياغة تفاصيل جديدة في إمكانية تحسين الطريقة التي تجعل «البراديغم» مناسباً للطبيعة. وفي البراديغم ما يكفي من عدم الدقة لترك الباب مفتوحاً أمام أعمال من هذا النمط.

لقد وصف كون العلم العادي بأنه النشاط المرتكز على حلّ الأحجيات، مسترشداً بقواعد البراديغم.

3- النوع الثالث: من عناصر المصفوفة ذات الإطار النظامي هو القيم، التي

(*) القصور الذاتي: يعني أن الجسم قاصر بذاته عن تغيير حالته، ولا بدّ من مؤثر خارجي هو «القوة».

(1) يمنى، طريف الخولي، **فلسفة العلم في القرن العشرين**، ص84-85.

(**) رينيه ديكارت (René Descartes) (1596-1650). فيلسوف وعالم فرنسي صاحب الكتاب الشهير «مقالة الطريقة»، والمبدأ المعرفي «أنا أفكر إذاً أنا موجود» واعتبر أن الشك هو مفتاح الحقيقة، وأن الرياضيات هي المثل الأعلى للعلم.

(2) كون، م.س، ص 108.

(3) Alan, chalmers, Ibid, p153.

يشترك فيها أعضاء جماعة علمية. وتظهر أهمية القيم التي تجعل علماء الطبيعة يؤدون وظيفتهم في حالات مثل:

1- تحديد أزمة في البراديغم أو العلم.

2- إختيار بين «طريقتين متناقضتين[1]».

3- ما يتعلق بالتنبؤات التي يجب «أن تكون دقيقة، والتنبؤات الكمية مفضلة على التنبؤات الكيفية[2].

4- الحكم على نظريات برمتها، من خلال قيم، تسمح بصياغة أحجيات وحلّها، «وحيثما أمكن يجب أن تكون بسيطة ومتمساكة تماسكاً منطقياً ذاتياً ومعقولة ومنسقة مع النظريات الأخرى الجاري استعمالها في زمانها[3]».

ومن الملاحظات المهمة التي ينبِّه إليها كون، في معرض تحديده للقيم المشتركة، وكيفية استخدامها العملي: «فالقيم يمكن أن يشارك بها رجال مختلفون في تطبيقاتهم على نطاق أوسع من أنواع المكوّنات الأخرى للمصفوفة ذات الإطار النظامي»[4].

من الأحكام المشتركة الدقة، وهي ثابتة نسبياً، والبساطة والإتساق المنطقي والمعقولية. فقد تكون النظرية «أكثر دقة لكنها أقل اتساقاً أو أقل معقولية من أخرى[5]».

ومع ذلك، فإن تطبيق القيم يتأثر بشكل لا يخفى بصفات الشخصية الفردية، وسيرة حياة العالم، أو الباحث، وتعتبر، حسب كون، «القيم المشتركة محددات مهمة لسلوك الجماعة، حتى ولو لم يطبقها أعضاء المجموعة وبالطريقة نفسها[6]». وتقود القيم المشتركة إلى الحفاظ على الاتساق المنطقي للنظريات العلمية، والتباين في تطبيق القيم المشتركة يخدم وظائف جوهرية للعلم، كحالات عدم التوقع، وبزوغ النظريات الجديدة.

---

(1) كون، م.ن، ص 303.

(2) م.ن، ص 304.

(3) م.ن، ص.ن.

(4) م.ن، ص.ن.

(5) م.ن، ص.ن.

(6) كون، م.ن، ص 306.

4- النوع الرابع: من عناصر المصفوفة ذات الإطار النظامي، هو الذي أدى إلى استخدام مصطلح «براديغم»، لأنه مناسباً من الناحيتين الفقهية اللغوية والسيرة الذاتية، وقد استبدله كون بمصطلح «الأمثلة التوضيحية»، التي تساعد الطلاب على حلّ المشكلات المادية التي تواجههم في بداية تربيتهم العلمية، «سواء في المختبرات أم في الإمتحانات أم في نهايات فصول كتبهم العلمية الدراسية[1]». والأمثلة هذه هي التي تظهر للطلاب كيف يجب القيام بعملهم، هي أمثلة توضيحية، مثل: مشكلات السطح المستوى المائل، مدارات كبلر (keplerian orbits) الفلكية، ومقياس طاقة الحرارة.

فبراديغمات المتحدّ العلمي الناضج، يمكن تحديدها بسهولة نسبية من نصوص الكتب الدراسية عادة، تمارين ودروس المحاضرات والمختبر.. وأن «هؤلاء الذين تقوم أبحاثهم على البراديغمات المشتركة، هم ملتزمون بالقواعد والمعايير نفسها في الممارسة العلمية، فتشاطر البراديغم يعني تشاطر القواعد، حتى ولو لم تكن مفسّرة، وإلاّ فلن توجد مجموعة قواعد كاملة[2]»، وفي هذا المعنى الواسع لاستخدام «البراديغم» تشكل العناصر المشتركة خاصية تفسّر سهولة «التواصل في المجتمع العلمي بغير مشاكل، وإجماع العلماء على الأحكام التي يصدرونها بشأن النظريات وسواها[3]». وفي الاستخدام الحصري أو «قالب المثلية» (exemplar matrix)، فالبراديغم[*] يعني «مجموعة من الأفكار حول ما يجعل المجتمع العلمي يقبل حلولاً معينة لمشكلة معينة قبولاً سلسلاً متآلفاً»[4].

2- **البراديغم مستعملاً كمثال:** ينطلق كون من أن العمل في حلّ المشكلات انطلاقاً من النظرية فالقواعد، لتعلّم أشياء مهمة عن الطبيعة، من دون أمثلة توضيحية، «ستكون ذات محتوى حسّي قليل[5]».

---

(1) كون، م.ن، ص.ن.

(2) باتريك هيلي، صور المعرفة، ص 160.

(3) الخولي، **فلسفة العلم في القرن العشرين**، ص 419.

(*) في المعنى المعجمي، الـParadigm أو الـparadim مجموع صيغ صرفية لجذر ما، أو مثال، نموذج (منير البعلبكي، المورد، ط 1993)، وهي كلمة مأخوذة من الأصل اليوناني paradeigma، وتعني مثالاً أو نموذجاً يحتذى، أي pattern ويعرفه رولان أومينس (فلسفة الكوانتم) بأنه «إنجاز علمي مميّز أصبح أنموذجاً جديراً بالمحاكاة من جانب باحثين آخرين.

(4) الخولي، **فلسفة العلم في القرن العشرين**، ص 419.

(5) كون، **بنية الثورات العلمية**، ص 308.

ولتوضيح فكرته يعود كون إلى التعميم الرمزي لقانون الحركة الثاني عند نيوتن، الذي يكتب هكذا f=ma «فعالم الإجتماع أو اللغة، الذي يكتشف أن التعبير المقابل قد نطق وقبله أعضاء متحد مفترضة، لن يعلم كثيراً عما يعنيه التعبير أو مفرداته لكنهم موافقون على كل الأمور مثل المعنى والتطبيق... لكن يمكن المرء أن يسأل عند أيّ نقطة، وبأي وسيلة حققوا ذلك، وكيف تعلموا، وهم يواجهون موقفاً تجريبياً مفترضاً، أن يختاروا مصطلحات القوى، والكتل، والتسارعات؟[1]».

والتعميم الرمزي f=ma، هو ترسيم قانون أو خطة عامة في حلّ المشكلات.. فعندما ينتقل الطالب أو العالِم الممارس من موقف إشكالي إلى تاليه، فإن التعميمات الرمزية التي تطبق عليها هذه الاستعمالات تتغيّر فبالنسبة إلى حالة سقوط الأجسام يصبح القانون F=ma على النحو التالي $Mg=\frac{d^2s}{dt^2}$[2]». والنقطة الجوهرية التي تعني كون هنا، أن «العلماء يحلوٌن الأحجيات بقياسها على براديغمات لحلول أحجيات سابقة، والذين تقوم أبحاثهم على البراديغمات المشتركة، هم ملتزمون بالقواعد والمعايير نفسها في الممارسة العلمية[3]..

ويثير كون إشكالية استخدام الكلمات بالنسبة لرجل لا يعرف حتى المشكلات.. فالمسألة تكمن في معرفة ما تعنيه المواقف التي تعرضها الطبيعة. فالتعامل مع قانون «الهبوط بالفعل يساوي الصعود بالقوة «غير ممكن إلا عندما يتعلم الطالب أو العالِم أن «الهبوط بالفعل»، والصعود بالقوة» هما مكوّنان طبيعيان.. وذلك قبل تعلم القانون. ولا يحصل ذلك النوع من التعلُّم بواسطة وسائل لفظية، بل يحصل «عندما يعطى المرء كلمات ومعها تقدَّم أمثلة مادية عن كيفية تأديتها وظيفتها العملية، فالطبيعة والكلمات يتعلمان معاً[4]». في ما يشبه المعرفة الضمنية، فالتعلُّم يكتسب بممارسة العلم أكثر من تحصيل قواعد العمل فيه. والقسم الأكبر من معرفة رجل العلم العادي يصبح ضمنياً (Tacite) في المعنى الذي طوَّره مايكل بولياني(Michael Polanyi)[5]».

---

(1) كون، م.ن، ص 309

(2) م.ن، ص 309.

(3) م.ن، ص 310.

(4) م.ن، ص 312.

(5) chalmers, Qu’est-le que la science ?, p156.

فالمشاركة في «البراديغم» تعني المشاركة بالقواعد، ولو لم تكن مفُسّرة، فهذه المشاركة، أحياناً، لا تكون قادرة على اتساقٍ صريح، وفي هذا الجانب يسير كون صراحة على هدى المعرفة الشخصية (Personal Know ledge) لبولياني المنشور عام 1958، و«الذي يلمّح إلى أن المسألة جرى التعامل معها من قبل فتغنشتاين[*] وبالتحديد كيف أنه في غياب كيان كفؤ من القواعد يكون رجل العلم مقيَّداً بتقليد علمي عادي خاص، أو ما يعني بطلب التحرّي المباشر عن البراديغمات المتبعة»[1].

يرفض فتغنشتاين أن تكون ثمة ماهية شاملة للمعنى وراء كل الاستعمالات، والبحث عن عنصر مشترك بينها، قاده إلى تشبيه فهم الإنسان لتلك الاستعمالات المختلفة «بفهمه للقواعد التي لا بدَّ من مراعاتها في كل لعبةٍ من الألعاب Games.

فاللغة أشبه باللعبة، من حيث إنه لا بدَّ من التزام بعض القواعد في كل منهما.. ولبلوغ الوضوح المطلوب حول معنى أية كلمة، لا بدَّ من الرجوع إلى طرق استعمالها (uses) [2] «والنظرية الأساسية عند فتغنشتين هي «نظرية المعنى في الاستخدام» وان أي فكرة، أو عبارة، لا تكتسب معناها إلاَّ في السياق الذي ترد فيه والسياقات دائمة التغيير.. أنها دعوة إلى النسبية في المعرفة، وتوجيه ضربة قوية للمنطق والقواعد العقلية. فقد «تبيَّن لفتغنشتاين أنه لا وجود لبنية منطقية أو عقلية تقبع خلف حياتنا وثقافتنا وعلومنا.

وبالتالي لا وجود لفكر صحيح بشكل دائم، وإنَّما الفكر يكسب مشروعيته في مكان وزمان معنيين وفي ظل ظروف محدَّدة. فالفكر يخضع للقواعد الأخلاقية ولظروف الحياة المتغيّرة لأن تكوينه إجتماعي، وليس هناك بنى عقلية منطقية هي التي تتحكم فيه[3]».

لقد ربط كون مصطلح «البراديغم» بالعلم العادي. ومخطط كون المعرفي، الذي

(*) لودفينغ فتغنشتاين(1889-1951). فيلسوف نمساوي، تتلمذ على يد مورورسل، ومن أكثر الفلاسفة المعاصرين تأثيراً على الفلسفة الإنكليزية في القرن العشرين. وهو من أكثر الفلاسفة أصالة وجدّة «في التحليل المنطقي« و«فلسفة اللغة». يعتبر كتابه «بحوث فلسفية» من أهم الكتب التي نشرت بعد وفاته.

(1) هيلي، **صور المعرفة**، ص161.

(2) زكريا ابراهيم، دراسات في **الفلسفة المعاصرة**، ج1، ص 272.

(3) رشيد الحاج صالح، المعرفة العلمية بين العوامل الإجتماعية والبنية المنطقية، عالم المعرفة، مج36 (يوليو – سبتمبر) 2007، ص59.

منه، سنحاول جملة من خصائص المعرفة بطريقة البراديغمات هو: ما قبل العلم (Précience)، العلم العادي (Science normale) أزمة وثورة (Crise-révolution)، علم عادي جديد (nouvelle science). ثم أزمة جديدة (nouvelle crise)... وهكذا..

والعلم العادي «هو البحث المؤسس بصورة راسخة على واحد أو أكثر من الإنجازات العلمية السابقة، والتي يعتبرها متحدٍّ علمي ما، الأساس لممارسته العلمية اللاحقة[1]» فكتب العلم الكلاسيكية في العلوم الطبيعية[*]، كانت أعمالاً قامت، ولزمن ما، بتحديد ضمني لما هو مشكلات مشروعة ولطرائق البحث لتعمل بحسبها الأجيال المقبلة المشتغلة بالعلم، وتشترك بناحيتين رئيسيتين أدتا لتميكنهم من ذلك، أولهما: هي أنها لا سبق لها في اجتذاب مجموعة من الأتباع الثابتين بعيداً عن أشكال النشاط العلمي المتنافسة، وثانيهما: أن الباب بقي مفتوحاً لحل كل أنواع المشكلات لمجموعة جديدة من المشتغلين التي يعاد تحديدها. «وإنّي أسميّ تلك الإنجازات التي تتمتع بتينيك الخاصيتين براديغمات، وباختيار هذا المصطلح رميتُ إلى طرح فكرة أن بعض الأمثلة المقبولة من الممارسة العلمية الفعلية - وهي أمثلة تشمل القانون، والنظرية، والتطبيق، واستعمال الأدوات - تقدّم نماذج تصدر عنها تقاليد للبحث العلمي متناسقة منطقياً[2]».

وهذا، يقودنا إلى تحديد خصائص النظرية التي «تُقبل أن تكون براديغما:

1- «لا بدَّ أن تكون أفضل من النظريات الأخرى المنافسة لها، ولكنها ليست بحاجة لأن تشرح كل الوقائع التي تواجهها[3]. فالبراديغم هو النظرة التي تكسب الحجة.

2- «إن البراديغم الجديد يتضمن تعريفاً جديداً وأكثر صرامة لحقل البحث[4]».

3- البراديغم إنجاز قادر على أن «يكون دليلاً لأبحاث المجموعة برمتها[5]».

---

(1) كون، م.ن، ص 63.

(*) مثل: كتاب **الطبيعيات** لأرسطو، **المجسطي** لبطليموس، **المبادئ والبصريات** لنيوتن، **الكيمياء** للافوازييه، **علم الجيولوجيا** للايل.

(2) كون، م.ن، ص 64.

(3) كون، م.ن، ص 74.

(4) كون، م.ن، ص 76.

(5) م.ن، ص 80.

ومن دون «الإلتزام ببراديغم لا وجود لعلم عادي[1]».

4- للبراديغم وجهان تجريبي ونظري، فعبره يمكن: تحديد الواقعة ذات المعنى، ومطابقة الوقائع مع النظرية، ثم صياغة النظرية[2]».

5- البراديغمات أسبق بوجودها من القواعد، وهي التي يمكنها تحديد العلم العادي. و«النظرية الجديدة يتم الإعلان عنها دائماً مع تطبيقاتها على مدى مادي ما من الظواهر الطبيعية، ومن دون هذه التطبيقات لا تصلح النظرية لأن تكون مرشحة لنيل القبول[3]» والعلماء لا يتعلمون مفاهيم وقوانين ونظريات في حالة مجرَّدة[*].

6- «إن الإنتقال إلى براديغم جديد هو ثورة علمية[4]».

7- «في تطور العلم، تحل معرفة جديدة محل الجهل، وليس محل معرفة أخرى من نوع غير متوافق معها[5]» والبراديغمات هي التي تؤلف العلم[6]». كما أن البراديغمات هي التي تؤلف النشاط البحثي من خلال النظريات التي تجسّدها.

8- إن حلول المتحدات العلمية، لا يجب أن تكون «مجرَّد حلول شخصية بل يجب أن تكون، بدلاً من ذلك، مقبولة من كثيرين» ويجب النظر إلى أعضاء المجموعة (المتحد) على أنهم الحائزون الوحيدون على قواعد اللعبة على أساس مكافئ لإصدار أحكام واضحة[7]». ففكرة البراديغم تتعارض مع التصور الواقعي، الذي يعتبر الطبيعة هي المرجعية (Reference)، وأن «المعرفة العلمية يجب أن تكون متطابقة مع ما يوجد هناك في الطبيعة أو الكون. المرجعية عند كون، وفقاً لبراديغمه، هي المتحد العلمي[8]».

والخلاصة أن كون عنى «بالبراديغم» مجموعة القوانين والتقنيات،

---

(1) م.ن، 190.

(2) م.ن، 96.

(3) م.ن، ص86.

(*) يطلق كون على المفاهيم والقوانين والنظريات إسم الأدوات الفكرية.

(4) م.ن، ص177.

(5) م.ن، ص 184.

(6) م.ن، ص 203.

(7) م.ن، ص 282.

(8) أنظر «ثبت التعريف» في كتاب «بنية الثورات العلمية» ص341.

والأدوات المرتبطة بنظرية علمية والمسترشدة بها، والتي بما بها يمارس الباحثون عملهم، ويديرون نشاطاتهم، وحالما تتأسس تتخذ اسم العلم العادي[1]».

والحال، لا ينظر كون إلى المعرفة على أنها تراكمية، بل ثورية، «تماماً كما تحدث الثورة السياسية حين يشعر أفراد المجتمع أن المؤسسات القائمة لم تعد كافية لحل المشكلات أو قادرة على هذا.. والثورة العلمية تحدث نتيجة تغيرات لاستيعاب ظاهرة من نوع جديد من قبيل الأوكسجين أو الأشعة السينية، ظاهرة خلقت أزمة، عن الأزمات تنبثق النظرية العلمية الجديدة التي تغيّر مقاليد البحث وأبعاد الرؤية الميتافيزيقية ومدلولات المفاهيم العلمية والوقائع التجريبية[2]».

ثانياً: طبيعة الإتصال وتداخلاته مع العلوم المترابطة: بهدف التعرُّف على مجمل العناصر التي يدلُّ عليها الإتصال كفعل إجتماعي، تبادلي، سأسعى للإنتقال من المصطلح المعجمي، اللغوي، إلى سياقات الإستخدام لاقتناص المعنى، الذي من المفترض أن يقودنا إلى التعرُّف على طبيعة الإتصال وموضوعاته ومسائله، والتي تعنينا في هذا الحقل، وصولاً إلى مقاربة النظريات الإتصالية التي سعت إلى فهم الظواهر الإتصالية، وسمحت بالكلام على علم الإتصال، وارتباطه بالعلوم الأخرى. في العربية، يعود الإتصال كإسم إلى الجذر، الذي هو الفعل اتصل [يتصل] الشيء اتصالاً بالشيء، أي صار موصولاً به، لامسه ملامسة تامة، التأم به.. ويقال اتصلت الأشياء أي تتابعت، واتصل به الخبر أي عَلِمَه، واتصل فلان بفلان أي خابره هاتفياً[3]» ويقال أيضاً هذه طريق فرعية تتصل بالطرق الدولية..

وتطور استخدام الكلمة، فيقال تواصل، أي تتابع وعدم انقطاع، وتواصل الشخصان أي اجتمعا واتفقا وتحابَّا.. فالإتصال بين الأشخاص هو الذي يعنينا، بمعنى الأخبار أو الإعلام، أو التآلف، والوسيلة المستخدمة كالتليفون مثلاً..

وفي الإنكليزية[*]، مصدر Communication هو Communicate، وتعني يبلّغ، يفشي، ينقل (To communicate News)، ويتصل به بالتليفون، وتعني أيضاً:

---

(1) ثبت التعريف، نفسه، ص 340.

(2) يمنى طريف الخولي، **م.س**، ص 417.

(3) جوزيف الياس، المجاني المصوّر، دار المجاني، مادة اتصل، ص 12.

(*) منير البعلبكي، المورد، 1993، مادة Communication.

(1) معلومات مبلغة، (2) رسالة شفوية أو خطية، (3) تبادل الآراء والمعلومات عن طريق الكلام أو الكتابة، أو الإشارات. ويقال شبكة تليفونية، وسائل اتصال.

في السياق اللغوي عينه، ما يعنينا، الاتصال بين الأفراد. فالاتصال هو الإخبار أو الإعلام، وهو نقل رسالة، وهو تبادل الآراء والمعلومات، وهو وسيلة التفاهم: اللغة - والحركات والإيماءات.. فإذا كان الاتصال نقل رسالة، يصبح الموقف الإتصالي هكذا مُرسِل، ومرسَل إليه، ورسالة، ووسيلة تفاهم.. أي العناصر الأربعة المكوّنة لعملية الإتصال، من عدسة إعلامية، أو نتيجة الفعل الإعلامي.

وفي الفرنسية(*)، فإن فعل الإتصال يعني عقد صلة مع الآخر. فالاتصال يحصل بين شخصين. والصلة أو العلاقة الناشئة تكون ديناميكية عندما تدخل في إطار وظيفي (foncticon). والإتصال هو الإعلام أي نقل خبر إلى صحافي، والإتصال هو رسالة، والإتصال هو الوسيلة التقنية التي يتصل بها الناس ببعضهم. والإتصال هو نقل Transmission. ويقال: (Radio Communication) وTelécommunication.

في معجم دالوز (DALLOZ) للمصطلحات في الإعلام والإتصال، تتوسع الدلالات: (1) فالإتصال، فعل يتركز، بالنسبة للأفراد، على تبادل الرسائل، وجهاً لوجه، أو عن بعد، بواسطة، أو بدون واسطة «الميديا» (Média). ومهما يكن شكل الإتصال أو هدفه، فإنه يعني: الفعل والنتيجة: Communicare et communitas.

(2) ومن وجهة سوسيولوجية، يتطور الإتصال تبعاً لإزدهار وسائل الإتصال الجديدة، على امتداد القرن الماضي (العشرين): الراديو، التلفزيون، والشبكات المتعددة الوسائط. كذلك، تعدَّدت أسباب الإتصال، على إيقاع الوسائل التي صنعته: بهدف الإعلام، أو التسلية، التثقيف والتعليم، وأيضاً التأثير، دعم رأي أو التحوُّل عنه.

إن أفعال الإتصال تزايدت بقدر ما انتشرت وسائط الإتصال، للحث على الإندماج، لبيع منتج أو بسلعة، بناء صورة لرجل أو إمرأة أو مشروع أو منظمة عامة، أكثر ملاءمة للإيماء بأنها صاحبة اعتبار أو خيّرة، متسامحة.

(*) le Robert, terme communication.

تثير الأفعال الإتصالية دلالة ذات اختلاف، بالنسبة لباعثي الأفعال الإتصالية والمستقبلين لها، حسب الموضوع، والأهداف، وحسب نسب النجاح المتوقعة منها.

والإتصال ليس فقط مجموعة من وسائط «الميديا»، أو التقنيات، أو الأنشطة المختلفة، هو أيضاً سوق، وصناعة، وحرية، وقواعد قانونية، تطبيق مجموعة من القيم، مثل الإعلان الفرنسي عام 1789، والحق في الإتصال[1].

أمَّا في الاستعمال، فتعدَّدت مدلولات كلمة «إتصال»، وراج استخدامها على نطاق واسع في حقول معرفية متعددة. «فالإتصال» يعني، في أبسط مفهوم «نقل الأفكار والمعلومات والإتجاهات من فرد لآخر، بعد ذلك أصبحت كلمة اتصال تعني أيضاً أي خطوط للمواصلات أو قنوات تقوم بربط مكان بآخر أو تقوم بنقل سلع وأفراد.. وبعد الثورة الصناعية، استخدم المهندسون كلمة اتصال بإستمرار للإشارة إلى التليفون والتلغراف والراديو، كما استخدمها الأطباء في الحديث عن الأمراض المعدية، وقد أدرك علماء الإجتماع أنهم يستطيعون أن يستخدموا الكلمة لتصف عملية التفاعل الإنساني، فعرَّف بعضهم الإتصال بأنه العمليات التي يؤثر عن طريقها الأفراد فيمن حولهم ونظر علماء السياسة إلى التجمعات على أنها نظم اتصال[2]».

وفي السيكولوجيا والتحليل النفسي، ثمة ترابط بين السلوك والإتصال، فالإتصال يهمُّ على الأقل، شخصين: الفاعل والمرسل إليه، حيث تجري الأدوار بالتناوب، فالإتصالات تستعمل كل الوسائل المادية. والمهم، هو الهدف أي نقل المعنى، فتأثيرات الإتصالات قد تكون رمزية، والسلوك الإجتماعي، أحياناً، هو كناية عن إتصالات بالنسبة للآخرين. والمثال عن الإتصال الإجتماعي هو الكلام، الذي يحتاج إلى تماثلات عقلية. فالفعل Communiquer، يعني جعل الأمر مشتركاً (Commun). وصعوبات الإتصال يستدل عليها من غياب الوعي التلقائي بما هو مشترك لجهة التمييز بين المواضيع، ما هو نافع، وما هو مستحيل.. والعملية

---

(1) Lexique d'in formation – communication, terme, communication, p82.

(2) سعيد اسماعيل علي، **التعليم والإعلام**، في مجلة عالم الفكر، مج24، العددان الأول والثاني 1995، الكويت، ص 95-142.

تصبح انتقالاً من إتصال ملائم إلى إتصال غير ملائم»[1].

ويترادف اللفظان إعلام وإتصال. ويستند تعاظم دور الإعلام إلى تقدُّم التكنولوجيا. فالإعلام والإتصال كليهما ينتسب إلى حقل العلوم الإجتماعية. وهذا العلم موضوعه دراسة الخصائص العامة للإعلام (الطبيعة، التكوين، التأثيرات). والإتصال الذي يرادف الإعلام، وطبيعة إجتماعية، لذا غالباً، ما يطلق عليه مصطلح «التواصل الإجتماعي»[2].

ولعلَّ وسائط الإعلام الجديد (New média) والتطورات التقنية الهائلة التي طرأت على وسائل الإتصال الجماهيري، عززت معنى «التواصل الإجتماعي» للفظ (Communication). واستخدام هذا المصطلح «تواصل إجتماعي» على مواقع الانترنت، والفايسبوك والتويتر.

في الحياة المهنية، يتحدث الناس عن الإعلام القديم والجديد، وعن المعلومات والحقائق والمصادر والتسريبات، ويحتل الخبر حجر الزاوية في مجمل المهن الإعلامية، فإذا توسع صار تحقيقاً، وإذا ظهرت آراء حوله أصبح تعليقاً، ومنه ينطلق الصحافي لإجراء حوار، أو مقابلة. فما هو الإعلام، والحال؟

في كتابه «الديمقراطية الأميركية وثورة المعلومات» يستقي بروس بمبر (Bruce Bimber) تعريفاً حديثاً للإعلام من قاموس (oxford english Dictonary). وهو: «معرفة نقلت تتعلق بحقيقة معينة، أو موضوع أو حدث[3]». لا حاجة لمناقشة المعرفة المتعلقة بالحقيقة، من زاوية، الصدقية أو الموضوعية، وهل الحقائق معلومات، وقائع، أم آراء وانطباعات ومشاعر، بسبب أنها مسائل ملتبسة، ولا تدخل مباشرة، في سياق البحث.

ومع ذلك، تقتضي المنفعة العلمية الإشارة إلى أن المعرفة بالحقائق والمواضيع والأحداث ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع الحديث وتحولاته في السياسة

---

(1) Danial lagache, la psychanalyse, p45-46.

(2) اعتبر د. المرحوم حسن صعب، وهو عميد سابق لكلية الإعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية أن ترجمة Communication بـ "إتصال" هو خطأ شائع، مفضلاً كلمة تواصل. [راجع مجلة المستقبل العربي – بيروت، العدد 1980/2].

(3) ترجم الكتابة الى العربية، وعنوانه "Information and American Democracy" عن شركة الحوار الثقافي، بيروت، 2006، ص25.

والإقتصاد والإجتماع، وهي تتعلق بمصالح الأفراد والمجموعات والحكام، وفئات المجتمع على اختلافها.

ولعلَّ عنوان الكتاب، والمعاني المستخدمة في تعريف الإعلام، تظهر بما لا يقبل مجالاً للشك أن ثمة ترابطاً بين وظائف الإعلام وثورة المعلومات وأشكال التغيير السياسي في المجتمع الحديث. فالإعلام مرتبط بعلم السياسة.

وفي الإطار عينه، تناقش Yves François le coadic في كتابها علم الإعلام (La science de l'in formation) الإعلام كمعرفة(*). فهي تجيب في معرض السؤال: ما هو الإعلام؟ «الإعلام هو معرفة حاصلة بصورة مكتوبة (طباعية أو رقمية) شفاهية، أو سمعية بصرية[1]».

يشتمل الإعلام على عنصر المعنى (élément du sens)، هو دلالة منقول إلى كائن واعٍ بوسيلة، رسالة مسجَّلة في حيّز زماني (spacio temporel): مطبوعة، إشارة كهربائية، موجة صوتية، هذه العملية تتم بواسطة نظام من الرموز. فالرمز (Signe) يربط الدَّال (Signifiant) بالمدلول (*)(Signifié). فثمة العلامة (الرمز) الألفبائي، ورمز التنقيط. وهذا يؤشر إلى الصلة العضوية بين علم الإعلام واللغويات.

يلعب الإتصال دور الوسيط (Intermédiaire)، الذي يسمح بتبادل الإعلام بين الأفراد. يمكن الإستنتاج مع ايسكربت (Escarpit) بأن الإتصال فعل، عملية، آلية، وأن الإعلام منتج، خلاصة ومادة.

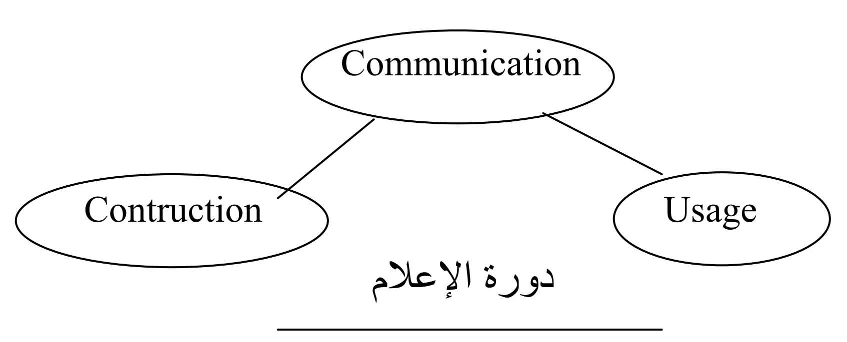
أمَّا على الصعيد البحثي، فإن مقاربة نظام البحث، في الإعلام، ينتمي بقوة إلى السيستام (Systéme) الإقتصادي وفقاً للترسيمة الكلاسيكية: إنتاج

(*) (Savoir) Connaissance: هي حاصل فعل المعرفة. هذا الفعل، يدرك الذهن، عبر، الشيء (الموضوع). أن تعرف أي أن تكوّن فكرة عن شيء.

(1) Yves François le coadic, la science de l'information? Paris, Que-sais-je, 2^0, édition corrvigée, Août, 1997.

(*) حلّل عالم اللغويات السويسري فرديناند دي سوسير (1857-1913) الرمز (Signe) أو العلامة الى مكوَّنية: الصوت أو المكوّن الصوتي، ودعاه الدال (signifiant. والمكوّن الذهني أو الفكري (Conceptual)، ودعاه المدول (Signified signifié)، والمدلول ليس شيئاً، بل فكرة عن شيء، أو ما يخطر في ذهن المتكلّم أو السامع عند التلفظ بالدّال الصحيح، ليس شيئاً بل فكرة عن شيء، أو ما يخطر في ذهن المتكلم أو السامع عند التلفظ بالدال الصحيح.

(production)- توزيع (distribution)- استهلاك (Consommation). ما يحصل في الحقل الإعلامي - الإتصالي تشابه في الظواهر، وليس في المفاهيم، وفقاً لِمَا يلي (النموذج الإجتماعي) (modélisation sociale).



دورة الإعلام

ففي الإعلام، نتكلم عن إنشاء commnication معلومات ومعارف أكثر ممَّا نتكلم عن إنتاج، مميزين بين منافع ثقافية أو مادية. بناء المعارف العلمية والتقنية، التي ستصبح مسجَّلة، سواء كتابة أو شفاهة، ونستعمل كلمة إتصال (Communication) مكان توزيع (destinautaire)، وكلمة استخدام مكان استهلاك. هذه العمليات الثلاث: الإنشاء، والإتصال، والإستخدام، تتابع وتتصل معاً بطريقة تبادلية.

ويمكن تبسيط هذه العمليات، من خلال الوسائط الجماهيرية (mass média) عبر علاقة ثنائية: مُعْلِم (informateur) ومُعْلَمْ (informé).

Informateur → informé

Mass-media

ومن هذه الترسيمة مُعْلِم - مُعْلَم، ظهرت النظرية الإعلامية، التي أدخلت الرسالة في صميمها على النحو التالي: القناة، الرمز، الضجة، التفاعل، من دون أن تحولها إلى نموذج للإتصال الإجتماعي:

Emetteur Massge Recepteur

E ——→ M R

↑________________________↑

نظرية الإعلام

في الحقل البحثي، التحوّل الأساسي في الإعلام أن الموضوع لم يعد يتعلق بكتاب أو عملية توثيقية، بل ينشغل أكبر فأكثر في معالجة مسألة إجتماعية حسية، ينكب الإعلام على الكائن الإجتماعي. الإعلام يصنّف في قطاع العلوم الإجتماعية (علوم الإنسان والمجتمع).

والإعلام علم متعدّد الأنظمة المعرفية، في إطار تبادلي، تماثلي، يعرف بـ (Science Interdisciplinaire).

وبالعودة إلى الإتصال بحدّ ذاته، فهو، رباط متحقق بين شريكين، عبر وسيط، وسيلة نقل، تسمح بتبادل المعلومات الرمزية بين متبادلين.

والإتصال في الإستخدام البحثي، حسب أدغار موران Edgar Morin (1977) «يرتكز على وصل عضوي، يحصل بنقل وتبادل الرموز»[1]. وهذا يمهد لعرض زوايا البحث في الإتصال: (les Angles De Recherche en communication).

أما بالنسبة للمرسل (Destinateur):

1- دراسة وسائط الإتصال ووسائل انتاج تلك الوسائط، قواعد الإنتشار، سلطة وصدقية المشروع.

2- النيَّة (الهدف) (Intention): دراسة حول الإقناع في الإعلان، الدعاية السياسية، استراتيجية البرمجة.

3- الرسالة (Message): تحليل محتوى الصحافة، البث التلفزيوني، النصوص المختلفة، التحليل السيميولوجي للإعلان.

4- الترميز (Codage): دراسة الشكل الأيقوني، النصّي، الفعلي وغير الفعلي، محتوى الرسالة.

5- (Action) فالدينامية التفاعلية، والأفعال الإتصالية داخل التنظيم.

6- القناة (Canal): مختلف وسائط الإتصال، شبكات الإتصال في التنظيمات،

---

(1) Morin E: (1977) La Méthode: La natrue de la nature, coll, point, seuil, Paris, p236, cité dans La recherche en communication Eléments de Méthodologie, p77.

تكنولوجيا الإتصال الآلي.

7- التشويش (الضوضاء) (Briut)(*): التحوّل الإنساني، والتداخل الفيزيقي للرسالة في مجرى انتقالها (Dans son parcours). الإتصال.

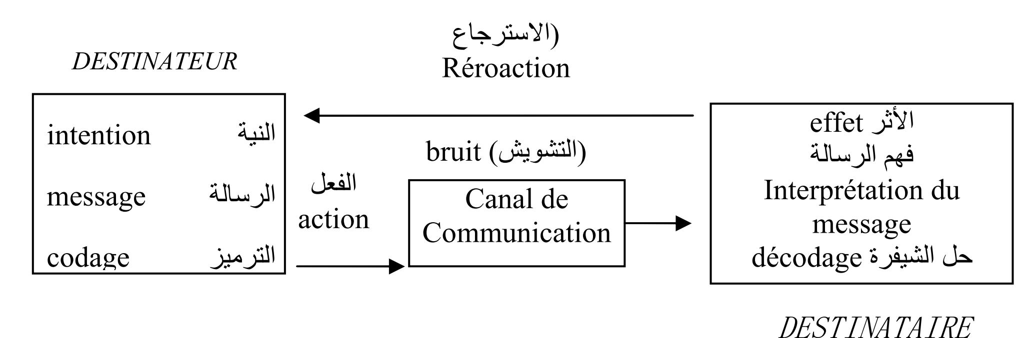
8- المرسل إليه (المتلقي) (Destinataire): ماذا يفعل الجمهور بوسائط الاتصال، دراسة المستمعين.

9- التشفير: (حل الشيفرة): دراسة الادراك، واكتشاف العلامات غير الفعلية والمتماثلة.

10- التأويل: (Interprétation): فهم النصوص، الرمز الإعلاني، المعنى، المدلول المشترك للرسالة بين المُرسِل والمُرسَل إليه.

11- التأثير (Effet): دراسة تأثير وسائل الإعلام، التأثيرات الإجتماعية، الفكرية للعنف، للإعلان، التأثيرات على السلوك والقيم والآراء.

12- الصدى والإسترجاع (Rétroaction): دراسة سيبرنطيقية (Cybernétique) للتنظيم، دراسة الإتصالات بين الأفراد.



على أن هذه العملية[1] (الترسيمة أعلاه) لا تجري منعزلة، بل تندمج في مجموعة من الأنشطة الإنسانية والإجتماعية. أكثر من ذلك، فالعملية ليست

(*) Bruit: Noise (تشويش). كلمة مشتقة من نظرية الإعلام، مفهوم يدل على كل تشويش (perturbation)، يطرأ على جهاز اتصال، أثناء نقل رسالة، خبر بين الـ (Emetleur) المرسل والـ Recepteur [المرسل اليه]. التشويش، له مصادر مختلفة: موقف أو سلوك للمتصلين، علاقات بين الفاعلين، تشويش معنوي متعلق بتغير معاني الكلمات بالنسبة لكل فاعل، مشكلات تقنية، بسبب موجات تشويش على البث العادي، عبارة عن «بارازيت» أو تشابك موجتين.

(1) Alain Laramée et Bernard vallée, Ibid, p79-83.

منهاجية، خطيّة، لأن رموز البيئة (environnement)، يمكن أن تتدخل في أية لحظة، وتغيّر انتباه المشاركين في العملية.

إن نموذج المرسل - المتلقي يتضمن رسالة، وهذه يمكن أن تغيّر (Changer) الدور والإتصال، فيصبح بإتجاهين، لا بإتجاه واحد، خطيّ، كالحوار مثلاً. والمُرسِل يمكن أن يكون فرداً أو مجموعة أو طبقة، ولديه هدف للإتصال. والأهداف قد تكون واعية، أو غير واعية. في الإعلان الهدف إقناع وحثّ المتلقي على الشراء. وفي الحقل السياسي، يمكن التعبير عن الهدف بالدعاية، وفي المحصلة، فالدراسات على استراتيجيات البرامج في الراديو والتلفزيون تكشف هدف المرسل.

والرسالة بقدر ما تعبّر عن محتوى الإتصال، فإنه يمكن أن تكون تحليلاً لخطاب في الصحافة المكتوبة، أو أخبار في الراديو، أو بثّ تلفزيوني، يمكن تحليل المحتوى غير الظاهر لدعاية أو فيلم.

إن الترميز يتعلق بمحتوى الرسالة أو شكلها. الشكل (الصورة) قد يكون إيقونياً، أو لغوياً، فعلاً أو غير فعل، وهو يخص (الترميز - التشفير) تحويل المعطيات لنقلها بالقناة.

وتقنياً، تحويل الأصوات إلى علامات كهربائية، والنصّ إلى ترميز مزدوج.

الفعل (Action) يعني تحريك عملية الإتصال. الدراسات حول دينامية التفاعل أو الأفعال الإتصالية تستند إلى هذا العنصر داخل التنظيم (orgnisation).

وبالنسبة لقناة الإتصال، يمكن ربط الدراسات حول الشبكات مع وسائط الإتصال، وتأثير مختلف أنماط الوسائط، وتكنولوجيا الإتصالات الآلية.

إن الضجّة هي تحوُّل الإعلام خلال نقل الرسالة، عبر شبكة القناة. وكل تعقيدات الإنتقال بين المُرسِل والمُرسَل إليه، هي مصادر ممكنة للتشويش.

من كل ما تقدَّم، يمكن وصف علم الإتصال بأنه علم تلتقي فيه علوم عدَّة: فهو متحوّل، ومتعدّد ومتداخل الأنظمة المعرفية لهذا السبب يطلق عليه البعض «علوم الإتصال»[1] (Seinces de la Communication).

من هذه العلوم، الرياضيات، البسيكولوجيا (علم النفس)، المنطق (logique)، السوسيولوجيا (علم الإجتماع)، اللغويات، الأنتربولوجيا والسيميولوجيا، فضلاً

(1) Alain la ramée et Bernard vallée, Ibid, p78.

عن الاقتصاد، والتاريخ، والإحصاء والفلسفة. وثمة من يضيف علم النفس الإجتماعي، إلى العلوم التي تحتاجها «علوم الإتصال».

ثالثاً: البراديغمات المستخدمة في علوم الإعلام والإتصال: من طبيعة الإتصال، وتداخله مع أنظمة معرفية تجمع بين الرياضيات والعلوم الإنسانية والإجتماعية، وفي ضوء التحولات التي طرأت على مناهج البحث بحلول منهجية «البراديغم» محل منهجية المبادئ، أضحى من الممكن أن ندلف إلى دراسة النماذج الإرشادية المستخدمة في علوم الإعلام والإتصال كعلوم منتسبة إلى العلوم الإجتماعية والإنسانية التي أدخلها توماس كون في نظام البراديغم لدى الباحثين في هذه الحقول.

فالأبحاث في علوم الإعلام والإتصال تتركز استناداً إلى طبيعة الإتصال على محاور ثلاثة:

1- المحور الأول: الجوانب الإجتماعية والثقافية لوسائل الإتصال، وفيها يتناول الباحثون، التأثيرات المتبادلة لوسائط الإتصال الجماهيري: الراديو، التلفزيون، الصحافة الكبرى، والسينما. وذلك على السلوكيات، تعزيز الآراء أو تغيير القيم، وهذا يجري تناوله من زاوية التفاعلية، أو علم النفس السلوكي.

2- المحور الثاني: محتوى الرسائل الإعلامية: (le contenu des messages médiatisés) يعالج، هذا المحور، من البحث، جانباً من جوانب العملية الإتصالية: الرسالة، أو الرسائل المبتناة بدءاً من اللغة الصوتية أو الأيقونية بإعتبار الأفراد أعضاء في جماعة. وعليه، يصبح تحليل الرسائل الإعلامية هو تحليل لبناء وإنتاج اجتماعي للمعنى: فالوضوح لا يحصل دائماً، والرسالة ترتبط بأولئك الذين يبعثون بها.

والرسالة تأتي من مصدر واحد، وتصل إلى عدد كبير من المتلقين. فالتحليل يتركز على المعنى الموجّه لها (للرسالة)، فرسائل رواية تلفزيونية لا تشبه عناصر القصة، وهي توجّه إلى قيم واضحة. والمحتوى الرمزي لإعلان (ARIEL) يقودنا إلى شيء آخر غير صفات هذا المنتج،و بالنظر إلى الصورة التي تجعلنا نرتبط به. وعليه، يصبح تحليل الرسائل الإعلامية هو تحليل لبناء وإنتاج إجتماعي للمعنى.

ويلائم هذا المحور مقاربتان للتحليل: تحليل المحتوى التقليدي، والتحليل السيميائي. وهاتان الطريقتان في تحليل الرسائل تؤديان إلى المعنى الموجّه

للرسائل الرموز) وفقاً لتقنية مختلفة، ممَّا يؤدي إلى إدراك الدلالة غير الظاهرة لتلك الرسائل.

3- **المحور الثالث:** الإتصال المنظم:(La communication organisationnelle): التنظيم يشكل أرضية ملائمة لدراسة الإتصال، ومن غير الممكن فصل الإتصال عن التنظيم، في هذا المحور، وحسب بعض الباحثين، أصبح التنظيم تجريداً، لا يتجسَّد إلاَّ بالإتصال، عبر الرسائل الشفهية والمكتوبة، وغير الفعلية، والإعلامية.

وفي هذا المحور، نعتبر الإتصال العضوي كعلاقة إدراكية (قابل للمعرفة). هذه العلاقة تفحص بمقاربتين: **المقاربة الأولى،** هي المقاربة الوظيفية التي تفحص التركيب والوظيفة شكلاً للتنظيمات، وكذلك الدينامية في العلاقات التي لا شكل لها بين أعضاء هذه المنظمات.

المقاربة الثانية: هي التأويلية التي تفصح عن عملية بناء وتمثيل الحقيقة. تمتد طبيعة الأبحاث من الإتصال بين الأشخاص إلى الأثر الحاسم للتكنولوجيا الجديدة التي تغيّر بنى العمل، وتركيب البنى الإتصالية.

إن الإهتمام بالإتصال المنظم، سبق التعرُّف إليه في بداية القرن العشرين بنموذجين من الإتصال، حيث فهم أن الإتصال أحد عناصر المنظمة (التنظيم) فقط. هذان النموذجان هما: المدرسة الكلاسيكية ومدرسة العلاقات الإنسانية.

- المدرسة الكلاسيكية: تعتبر المنظمة (organisation) بمثابة بنية شكلية متمثلة بخطة عضوية لتنظيم الإدارة. المنظمة تُدْرك بطريقة رئيسية مندرجة، وتمثّل الميزات التالية: تقسيم العمل، سلسلة القيادة، مركزية السلطة: هذه النظرية تركز على السلطة والنظام.

(تايلور 1916) نظرَّ للأهمية (Importance). ركز على برمجة العمل، والعمل ضمن السلسلة المترابطة. اقترح أن يدفع للمستخدم حسب مردوده الفردي. في هذه المقاربة يتراوح الإتصال بين التوجيه والأوامر وتنفيذ العمل.

- مدرسة العلاقات الإنسانية: إن دراسة العلاقات الإنسانية تطورت في السنوات الخمسين الماضية في مقابل المدرسة الكلاسيكية. هذه المقاربة تستند إلى اعتبار التنظيم بنية مغايرة للأشكال المعروفة (Informel).

إن تعبير (Informel) يجعل المرجعية في العلاقات العضوية، غير المفروضة التي يحققها العمال بين بعضهم البعض. وهكذا فإن المنظمة لا توجه

فقط تبعاً للإنتاج، بل تبعاً للأفراد.

إن أهمية الإتصال من هذه المقاربة لا تزال متواضعة، لكنها تتجاوز القيادة والأوامر.

إن الإتصال، يخصّ تقريباً، وبصورة أحادية، التفاعل بين الرئيس والمرؤوس، ويخذ شكل النصائح حول تقنيات الإتصال الخاصة، ويحثّ على التعاون بين العمَّال.

هذه هي المدرسة التي أعطت ضربة الإبتداء للدراسات في حقل الإتصال المنظم.

في ضوء ما تقدَّم، ترى الجماعة العلمية في حقل علوم الإعلام والإتصال أن المنهجية الملائمة هي النظريات بوصفها بنى، ومنها «البراديغمات»، بالنظر إلى أن الإتصال كبنية تنظيمية، بوظائف متعددة، وتأثيرات متنوعة، وتأويلات تعيد صياغة المعنى الإجتماعي بين الأفراد. فعلم الإتصال، كما هو معروف علم متعدّد الأنظمة، وكل نظام يؤدي إلى نموذجه الإرشادي الخاص به.

يشهد علم الإتصال أنظمة عدة من العلوم الإجتماعية والإنسانية التي ينتمي إليها، من مناهج البحث إلى النماذج الإرشادية، باعتباره علماً إخبارياً، وهو من العلوم الجديدة، التي تتبنى «براديغمات» معروفة في الرياضيات، وعلم النفس وعلم الإجتماع والأنتربولوجيا..

و«البراديغمات» المسيطرة في دراسة موضوعات الإتصال أربعة، لكنها ليست تامة ونهائية:

1 - «البراديغم» أو النموذج التحكمي (السيبرناطيقي) التوجيهي (Le paradigme cybernétique).

2 - البراديغم السلوكي (Le paradigme béhavioriste).

3 - البراديغم الوظيفي (Le paradigme fonctionnaliste).

4 - البراديغم التأويلي (Le paradigme interprétatif).

في جدول المقارنة التالي، يمكن تكوين فكرة عامة حول مصادر هذه البراديغمات، وخصائصها، ونماذج الدراسة من خلالها، لا سيما في وسائط الإعلام الجديد المتشكل من تكنولوجيا الإتصالات الجديدة..

المقارنة بين البراديغمات الأربعة(1):

Le paradigme cybernétique 1- البراديغم السبيرنطيقي	Le paradigme béhavioriste 2- البراديغم السلوكي	Le paradigme fonctionnalite 3- البراديغم الوظيفي	Le paradigme Interprétatif 4- البراديغم التأويلي
- متحدّر من النموذج المنهاجي النسقي	- متحدّر من البسيكولوجيا والوضعية	- متحدّر من الوضعية	متحدّر من المثالية الألمانية
- الخصائص: الاتصال والمراقبة في الآليات والإنسان - علوم الأنساق الموجهة والمراقبة تشير الى تنظيم تلقائي في الإسترجاع (العمل ورد الفعل) مثل: مثبت الحرارة في المبنى (Thermostat) والحرارة في جسم الإنسان	- الخصائص: نموذج الإثارة ← الإستجابة - لكل إثارة استجابة ملائمة، ذات خاصيات مرئية تفترض ردات فعل تلقائية.	- الخصائص: - إدراك المجتمع كوحدة عضوية، حيث ان العناصر تفسَّر بالوظيفة التي تشغلها. - الحقيقة الإجتماعية موضوعية - الإتصال عملية - الرسالة هي الأهم في هذه العملية - البحث عن العام (الكل).	الخصائص: - المعاني تقع في الأفعال الإجتماعية - تحليل المعاني الذاتية التي تشكل الإجماع حول تأويل الواقع - الناس تعطي معنى لعالمها من خلال السلوك الإتصالي - المجتمع بناء مركب من التجارب الشخصية لأفراده.
نموذج الدراسة: في حقل الإتصال المنظم، دراسة شبكات الاتصال، معاينة ترابط عناصر السلسلة في الإتصال	نموذج الدراسة: - تأثير وسائط الإتصال على الناس - الدعاية والإقناع - السلطة الخفية أو القوة الساحرة لوسائط الإتصال - تقود وتوجه الأبحاث حول تأثير وسائط الاتصال الجماهيري	نموذج الدراسة: - الإستخدام والإشباع استخدامات الجمهور لوسائط الاتصال والإشباع التي يترتب عليها - في الاتصال المنظم دراسة توزيع الأدوار، التردّد (الشك) والرسائل	نموذج الدراسة: في الإتصال المنظم، المقاربات الطبيعية والثقافية، تشكل دراسة التواريخ والأساطير والطقوس (الشعائر)، والنزاعات والأنساق الرمزية في التنظيم - دراسة محتوى وجوهر الإتصال.

La recherche en communication, P73. (1)

تقتضي الإبتسمولوجيا أن ترتبط المنهجية العلمية بحقل الدراسة، والتطورات التي طرأت على هذا الحقل، معرفياً، أو على مستوى مسائل البحث.

يستلزم هذا، تقديم إيجاز بالتحولات التي طرأت على نظم الإعلام والإتصال، أو وسائط الإتصال الجماهيري، لتحديد النموذج أو النماذج الجديرة بقيادة البحث وتوجيهه لدراسة الظواهر الإعلامية، بوصفها ظواهر موضوعية، مع الإشارة إلى أننا سنتوقف على نحو شبه تفصيلي عند اثنين من النماذج الإرشادية هما: «البراديغم الوظيفي» و«البراديغم التأويلي».

تكمن التحولات في الأعصر الإعلامية الكبرى التي يحددها علماء الإعلام وخبراء الإتصال بأربعة:

1 - عصر الكتابة: وفيه دوَّن الإنسان معارفه بالكتابة على الورق.

2 - عصر الكتابة بالطباعة: وهو امتداد للعصر الأول، إذ أدَّى اختراع المطبعة الآلية في ألمانيا على يد غوتنبرغ عام 1453 إلى انتشار المعرفة عبر الصحافة والكتاب. ودخل الإنسان عصر الإتصال الجماهيري. وترتب على هذا العصر نتائج دينية وإجتماعية وثقافية وعلمية هائلة، قضت بالإنتقال من العصور الوسطى إلى الأزمنة الحديثة، وبتصفية المجتمع القديم والإنتقال إلى المجتمع الحديث. ولعبت الصحافة المكتوبة دوراً هائلاً في تثبيت قيم الرأسمالية والليبرالية وحقوق الإنسان والحريات العامة، والتي كانت بدايتها مع الثورة الفرنسية.

3 - مع ظهور التلغراف عام 1835، بعد اكتشاف الكهرباء تحققت ثورة الإعلام الثالثة التي أدخلت الإعلام إلى بوابات العصر الإلكتروني (Stephons)، من خلال الراديو والتلفاز، فصار بإمكان الأمي أن يتلقى الأخبار والمعلومات والمعرفة بشفاهة.

4 - ظهور الثورة الرقمية أو المرحلة الرابعة من عصور الإعلام، منذ التسعينات من القرن الماضي، حيث مكنت دمج وربط أجهزة الإتصال بعضها ببعض (Média convergence)، وأتاح الدمج مزج الصورة والصوت واللون، بما أوصل إلى الإعلام الإلكتروني المتعدّد الوسائط (Multi - média)، وبثه عبر الشبكة العنكبوتية (Word wide web) .

ومكنَّت الرقمنة (Digitaliser) من حمل الصوت والصورة ورموز الإتصال

إلى أيّ مكان في العالم تتوفر فيه أجهزة الإستقبال. وصار بالإمكان استخدام مصطلح الإعلام الإلكتروني المتبلوّر حول شبكة الأنترنت، مكتوباً ومسموعاً أو مرئياً.

وثمة من يفرّق بين مفهومين لوسائل الإعلام:

أ - الإعلام التقليدي (Traditional media) ويشمل الصحف المطبوعة والراديو والتلفزيون.

ب - الإعلام الجديد (New media)، وتعتمد أنظمة الإتصالية، والتي تعرف باسم أنظمة الإتصال بواسطة الحاسبات (Computer médiate communication) (CMC).

وتضمن هذه الأنظمة الإتصالية الجديدة نقل المعلومات وتبادلها. والقدرة على التعبير النصي والحركي والصوتي.

بالإضافة إلى ما توفرّه من قدرة على استرجاع البيانات من قواعد البيانات الفورية، وتبادل الإتصال بين الأفراد. ويتم ذلك كلّه من خلال شبكات الإتصال التفاعلي (Telecommunication net work)، وهي جزء من أنظمة تسمح بتبادل المعلومات بشكل تفاعلي بين مجموعة من المستخدمين في أماكن متعدّدة من خلال شبكة الأنترنت.

إن المشترك بين كل وسائل الإعلام التقليدي والجديد هي نقل المعلومات مع تغيّر في الكيفية والسرعة والمضمون، وإختصار الأزمنة والأمكنة في عمليات اتصال تشبه البرق من حيث السرعة والآنية من حيث المشاهدة.

وترتبط التكنولوجيا الجديدة في الإعلام والإتصال، بصورة رئيسية، بـ الـ (Ordinateur) (جهاز الكومبيوتر): قواعد المعطيات، (bases des d'innés) البريد الإلكتروني (Courrier électronique). المؤتمر عبر الكومبيوتر، الفيديوتكس (Viodéatex)، وتلفزيون الكابل التفاعلي (television par cable interactif) ونظام الـ فيديو ديسك (vidéodisque).

1 - البراديغمات المستخدمات في وسائط الإعلام التقليدي (médias de masse troditionnels):

الإتصال الجماهير يتم عبر وسيط Média (وسيلة إعلامية) فالمرسل والمتلقي يتواصلان بطريقة غير مباشرة (Le biais d`un média) عبر هذا الوسيط

(وسيلة الإتصال أو الإعلام). وهذا الشكل من الإتصال ذو اتجاه واحد (indirection nielle)، بمعنى أن فرداً أو مجموعة تشكل كياناً (Entité) تبعث برسالة (مجموعة من الرموز)، تصل في وقت واحد إلى عدد من الأفراد أو الجمهور (Masse).

في هذا السياق يفترض الباحثون أن وسائط الإتصال الجماهيري تولد تأثيراً على المتلقين: تغيرات في الآراء، السلوك والمواقف، هناك أكثر من نموذج (Modéle) لتفسير تأثير الرسائل الإعلامية على أفراد المجتمع.

أ - «**البراديغم السلوكي**» الذي منه نموذج (Stimulus - Reponse) الاثارة والإستجابة.

طبّق في دراسة وتفسير تأثيرات (Effets) وسائل الإعلام على الجمهور من زاوية أن هذه الوسائل هي Stimulus، وأن ردَّة فعل الجمهور أو سلوكه، بعد الخبر أو المعلومات هي الـ Réponse أو الإستجابة. ومن ميزات هذا النموذج:

1 - أن لكل Stimulus - réponse.

2 - يعتبر النموذج السلوكي أن الـ Média مثير قوي وأن الأفراد متلقين، ويقبلون بسهولة تأثيراته.

3 - وأن المثير والإستجابة وحدة أساسية توحّد بين الوعي والسلوك.

4 - وأن ردَّات الفعل آلية، تلقائية، فعند حدوث المثير تحدث الإستجابة.

5 - أن السلوك الانساني كما السلوك الحيواني، قابل للملاحظة. في فترة ما بين الحربين العالميتين، اهتم السلوكيون الأميركيون بدراسة السلوك الإنساني، من زاوية مجمل الأعمال الخارجية التي بموجبها يستجيب الإنسان، أو يردُّ بها على المؤثرات التي يتلقاها من الوسط.

يعتبر السلوكيون الأميركيون قبل باڤلوف (Pavlov) (*)أنه من الممكن توقع

(*) باڤلوف، ايفان بتروفيتش (Pavlov, Ivan Petrovich) (1849-1936م)، عالم طبيعي روسي، حائز على جائزة نوبل، مؤسس الدراسات التجريبية الموضوعية للنشاط العصبي الأعلى عند الحيوان والإنسان، مستخدماً منهج الإنعكاسات الشرطية وغير الشرطية.

وهي ردود الأفعال المتبقية لدى الإنسان والحيوان، والتي يحدّدها تنبيه الحواس المستقبلة ونشاط الجهاز العصبي المركزي، والإنعكاسات غير الشرطية ردود أفعال موجبة غير فطرية من جانب الكائن الحي العضوي.

أو التنبؤ بردات الفعل المطلوبة أو المأمول بها.

لذا، كانت الدراسات الأولى لتأثير «الميديا» بعد الحرب العالمية الأولى، إذ أثبتت الدعاية (Propagande) أنها الوسيلة الموقظة للمشاعر الوطنية في الأمة، ومشاعر الكراهية للعدو. ووسائل الدعاية كانت الصحف، والأفلام، والإعلانات، والأفيشات، والصور التقريبية.

إن ظاهرة الإعلان الجماهيري أكدت التأثير اليومي للوسائط.

نحت هارولد لاسويل 1927 - 1902) Harold lasswell) الأستاذ المحاضر في جامعة شيكاغو مصطلح «الأبر المخدّرة، وهو المبدأ، الذي تعمل بموجبه وسائل الإعلام، للإشارة إلى التأثيرات المباشرة والجماعية لوسائل الإعلام على الجمهور المشتت.

وجاءت نظرية لاسويل، وفقاً للنموذج الخطيّ (Modélisation linéaire) على النحو التالي: Qui dit Quoi, A Qui, en utilisant Quel canal et avec quel effet.

وتعني مَنْ قال، ماذا، لِمَنْ، وبأيّ وسيلة، وبأيّ تأثير إلاّ أن نظرية التأثير المباشر قوبلت بانتقاد، وطرح المفهوم السلوكي في الإنتظام الاجتماعي كقضية للبحث، من زاوية أن التأثيرات لن تحصل في وقت واحد لدى كل الأفراد، نظراً للفروقات في الشخصية والفائدة، والذكاء عند كل منهم، فضلاً عن قابلية مصدر المعلومات للتصديق، ومحتوى الرسائل، والانتماء الاجتماعي للمتلقين، هذه العوامل شكلت مصفاة لتأثير «الميديا المباشر» ومع ذلك فان هذا البراديغم ما يزال معمولاً به.

وثمة تيار جديد، ظهر في الستينات من القرن الماضي، يميّز بين الإجراءات المنهجية المتبعة في النظرية السلوكية والنتائج الناجمة عن هذه الأبحاث، من خلال الإستطلاعات والتحقيقات، التي تثبت معطيات تجريبية.

ب - البراديغم الوظيفي: يستخدم البراديغم الوظيفي في سياق دراس تأثيرات وسائط الاتصال الجماهيري التنقليدي، فضلاً عن دراسة الإتصال المنظم (Communication organisationnelle).

في الستينات، من القرن الماضي، عندما قبلت الجماعة العلمية فكرة ان «الميديا» لا تملك إلاّ القليل من التأثير، انطلقت حركة معاكسة، معيدة الإعتبار

لمفهوم التأثير (Effet). وأضافت هذه الحركة، إذاً عناصر للنماذج الأولى (نظرية لاسويل). وحلّلت التأثيرات الخاصة بأنساق القيم، والإعتقادات والتصرُّفات في المجتمع. هذه التأثيرات ساهمت في إحداث التغيرات في القيم، أو تعزيز تلك التي وجدت سابقاً.

مقاربات عدَّة عرفت إعادة إكتشاف التأثيرات:

- إعادة الدمج (التكيف الإجتماعي)
- صياغة الوقع ذهنياً (Construction de la réalité).
- الرقابة الإجتماعية.

إن تيار الوظيفية السوسيولوجية، كان محاولة لإعادة النظر في نظرية لاسويل، التي تنظر إلى الإتصال كنقطة بدء ونقطة نهاية، فرفض هذا التيار المبدأ الآلي حول التأثير المباشر غير المكيَّف حسب الوضعيات، متوقفاً عند المتغيرات الوسيطة، بين نقطة البدء ونقطة النهاية.

وجرى تركيز على أن الرسائل الإعلامية لا تؤثر إلاَّ إذا كان الجمهور مستقبل لها (مثال الإعراض عن الإعلام الرسمي والتطلع إلى الإعلام الخاص - الجزيرة - العربية - في متابعة أحداث الثورات العربية 2011).

كما التفت هذا التيار إلى دراسة الجمهور، والتوقعات الخاصة بالحاجات التي يصبو إليها (تركيز الرسائل على الحريات، حقوق الإنسان، محاربة الفساد في الثورات العربية)..

إن المقاربات التي يتيحها «البراديغم» الوظيفي عديدة، نستطيع من خلال بعضها أن نحمّل وسائط الإتصال الجماهيري «وظائف» ظاهرة أو مستترة: وظيفة التسلية، وظيفة الإعلام (الإخبار) وظيفة اللهو، وظيفة تعزيز القيم.

ونستطيع كذلك، أن نحمّل وسائط الإتصال الجماهيري إختلالات وظيفية ظاهرة أو مستترة: اللامبالاة، الغزو الثقافي، تدني الفكر النقدي، زيادة التقيد بالعرف الاجتماعي.

وفي هذا الحقل، تعزَّز تأثير وسائط الإتصال الجماهيري، سواء عبر الإعلام التقليدي، لاسيمّا المرئي منه، أو الإعلام الالكتروني مثل الفيسبوك والتويتر، فقد كان لهذين الإعلامين تأثير كبير على ثورة مصر، وبدرجة أقل على ثورة تونس،

والتقى الخبراء والمحللون وقادة الرأي والسياسة، على أن الذي أحدث الثورات المتتالية في العالم العربي هو الإعلام الجديد.

ومن خلال منهجيات وتقنيات مختلفة، نتحقق من تأثيرات (انعكاسات) الوظائف أو الخلل (الإضطراب) الوظيفي على الأفراد.

إن التقنية المعتمدة في بعض مقاربات التيار السوسيولوجي الوظيفي تحوَّلت من دراسة الفرد كعضو منعزل إلى دراسته من خلال عدد من المجموعات التي تشكّل الأفراد، ثمة نموذجان مهمان (Deux Modéles) في هذا التيار:

1 - التدفق الثنائي للإتصال (two step flow communication)

2 - الإستخدامات والإشباعات: (Uses and gratifications)

وثمة نموذج ثالث هو (le modèle La genda setting» وضع الأجندة.

1 - التدفق الثنائي للإتصال (Two-step flow communication)

(كاتز Katz)، لازرسفيلد (lazarsfeld)

يدعي هذا التيار أن الرسائل الإعلامية، تصل بادئ ذي بدئ عبر قادة الرأي (Leaders d`opinion)، الذين بدورهم، يحولونها إلى مجموعاتهم المنتمية إليهم، المؤلفة من الجمهور، أكثر أو أقل من المعروضة في وسائل الإعلام.

(قائد الرأي، يشكل أداة نقل (Relais) بين الميديا والجمهور الكبير[1]

تطور هذا النمودج في إطار دراسة العوامل المؤثرة في اختيار الناخبين (electeurs) في الحملة الإنتخابية لرئيس الولايات المتحدة الأميركية روزفلت (Roosevelt) [*].

دراستان رائدتان شكلتا هذه المقاربة الجديدة حول العناصر والمتغيرات الوسيطة: الأولى، أجراها لازرسفيلد بعنوان: «اختيار الشعب» the people's choice (1944)، لقياس تأثير وسائل الاعلام على 600 ناخب في أوهايو، خلال الحملة الرئاسية.

---

(1) Alain Laramée, Ibid, p87.

(*) فرانكلين دلانو روزفلت (Franklin Delano Roosevelt)، سياسي أميركي. الرئيس 32 للولايات المتحدة (عن الحزب الديمقراطي)، من العام 1933 حتى وفاته، أعيد انتخابه ثلاث مرات، بسبب برنامجه الإقتصادي والإجتماعي، ساهم في إخراج بلاده من الأزمة الإقتصادية العالمية عام 1929. لعب دوراً حاسماً في الحرب العالمية الثانية.

الدراسة الثانية (1955)، حول التأثير الشخصي: أي دور يلعبه الأفراد في تدفق وسائل الاعلام Personal Influence: the part played by people in the Flow of Mass communication.

وهذه الدراسة كتبها لازرسفيلد وإيليهو كاتز (Elihu katz)، معتمدين فيها على معطيات ميدانية تعود لعشر سنوات سابقة، «ويتعلق الأمر أساساً بدراسة سلوك المستهلكين في عالم الأزياء والترفيه، لا سيما المحددات التي تحكم اختيار الأفلام[1].

وتوصل الباحثان من خلال هذه الدراسة إلى أهمية «المجموعة النووية» وأن الاتصال يتم على مرحلتين، حيث يعتبر دور قادة الرأي مركزياً.

وتقوم نظرية التدفق على مرحلتين على (TWO - Step- Flow):

* الفئة الأولى من الأشخاص ، الذين هم على دراية بما يجري في محيطهم، وهم قادة الرأي.

* الفئة الثانية: الأفراد الذين يتابعون وسائل الاعلام بدرجة أقل، ويعتمدون على الآخرين في الحصول على المعلومات.

اعتمد لازرسفيلد تقنية البانل Panel[*]، في الميدان الانتخابي، في دراسته للخطوات المتتابعة في اتخاذ القرار من زاوية تبني التجديد وانتشاره، عبر مراحل من البحث، تضمنت مستويات عدة من الوعي، الاهتمام، التقييم، التجريب، التبني أو الرفض، شبيهة بقاعدة الجذب الإعلاني AIDA، وهو يعني:

Capter L`Attention, suciter l`intéret, stimuler le Désir, passer á l`Action ou á l`Achat.

(جذب الإنتباه، خلق الإهتمام، تحفيز الرغبة، الإنتقال إلى التنفيذ أو الشراء).

وفي محاولة للإستفادة من هذه النظرية، في التأثير على الجمهور لجأت وسائل الإعلام المرئي إلى إعطاء مساحة مدفوعة لقادة الرأي، إمّا للتعليق على الأحداث، أو لإجراء حوارات مطولة ونقاشات حولها.

---

(1) أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الإتصال، تر نصير الدين لعياضي والصادق الرابح، ص59.

(*) تقنية البانل (Panel): نموذج من تقنيات البحث تخضع فيه عينة من الأشخاص لمقابلات متكررة لفترة زمنية معنية.

2 ـ نموذج الإستخدامات والإشباعات (Uses and grafications) (Mc Quail 1972).

حسب هذه المقاربة ـ النموذج، يتركز البحث على معرفة سلوك الناس، قبل تعرضهم لوسائل الإعلام.

هذه المقاربة الوظيفية تعطي توجيهاً جديداً للأبحاث من الآن وصاعداً، يتركز الإنتباه قليلاً على تأثير الميديا: على الأفراد، وكثيراً على استخدام الميديا حيث أن الناس يصنعون «الميديا» (Uses)

هذه المقاربة، تستند إلى أن الناس هم الذين يصنعون الاستعمال (Uses)، وهذا الإستخدام (Usage) واعٍ وإرادي، بحثاً عن شيء خاص في «الميديا»: خبر، نصيحة، مساعدة، دعم رأي بالمختصر: إشباع (gratification)

إن الباحثين الذين بلوروا هذا النموذج (Modéle) يتساءلون لماذا يلجأ الناس إلى «الميديا»، ويتساءلون حول سلوك الأفراد الذين يتخلون عن «الميديا»[1]. إنهم يفتشون عن اكتشاف المجموعات من الناس، الذين يستهلكون محتوى وسيلة إعلام محددة، ثم يطلبون من هؤلاء الإجابة عن سؤال: لماذا يقبلون على هذه الوسيلة؟

زعزعت هذه الأبحاث التجريبية حول استخدام الناس «للميديا» جدياً البراديغم السلوكي، القائم على التأثير المباشر (إثارة ـ استجابة)، لصالح فهم جديد لتأثير الميديا. فحسب «البراديغم الوظيفي: فإن «الرسائل الإعلامية، لا تؤثر إلا إذا كان المستقبل، مستقبلاً لها، وليس معرضاً عنها، بمعنى آخر انكبّ الباحثون على دراسة التوقعات، المطالب والحاجات التي تخص الجمهور إزاء «الميديا».

ابتعد إيليهو كاتز (Katz) أحد الوجوه البارزة في التيار السوسيولوجي عن نظريات التأثيرات المباشرة (الفرضيات السلوكية). وتجاوزت التأثير المحدود والتأثير غير المباشر (لأن انتقائية المتلقين تجعل دور وسائل الإعلام محدوداً)، بطرح السؤال المعاكس: ماذا يفعل الناس بوسائل الإعلام؟ بدلاً من طرح السؤال الكلاسيكي ماذا تفعل وسائل الإعلام بالناس؟

طوَّر تيار «الإستخدامات والإشباعات» في ثمانينات القرن الماضي مفهومه لتأثير وسائل الإعلام، عبر «الإستخدام والإشباع» والتركيز على أن «المعنى

(1) Alain laramée et Bernard vallée, Ibid p71.

والتأثيرات تولد من تفاعل النصوص والأدوار التي يضطلع بها الجمهور، وإنّ فك الرموز يرتبط بمشاركة الجمهور في عملية الإتصال، وتربط المشاركة ذاتها بالطريقة التي تُبنى بها مختلف الثقافات دور المتلقي[1]».

وكموضوع للدراسة، يمكن إقتراح: معالجة إقبال فئات واسعة من الجمهور اللبناني على فضائية الـ MBC، باللغة العربية، التي تعرض مسلسلات تركية «مدبلجة»، والتي حذت حذوها بعض الفضائيات اللبنانية مثل (NTV).

3- **مقاربة «وضع الأجندة» (Agenda Setting)**: يرتكز نموذج «وضع الأجندة» على التأكيد، بدلاً من تعديل سلوك الأفراد، على مشاركة «الميديا» لهؤلاء بالإهتمامات.

إن الأفراد عندما يطلب إليهم وصف إهتماماتهم في النظام الإجتماعي، ويجدون وسائل الإعلام تولي شأناً لهذه الإهتمامات باعتبارها أولويات؛ فإن وسائل الإعلام تكون قد نجحت بتحقيق الأولويات الإجتماعية (أي وضعت الأجندة) (Set the agenda) لأفراد المجتمع.

يؤكدّ نموذج «وضع الأجندة» على «وجود علاقة إيجابية بين ما تؤكدّه وسائل الإعلام في رسائها وبين ما يراه الجمهور هاماً، أي أن دور وسائل الإعلام والإتصال يسهم في ترتيب الأولويات عند الجمهور[2]».

إن مقاربة «وضع الأجندة» هي مقاربة تجريبية، والطرائق المستخدمة في الوصول إلى نتائج، تعتمد على تحليل مضمون الرسائل المبثوثة عبر وسائل الإعلام، والتحقيقات حيال ا لجماهير التي ستستهدلك هذه الرسائل.

2- **البراديغمان المستخدمان في الإتصال المنظم**: (Les deux paradigmes utilisants dans la communication organisationnelle)

يسيطر في الإتصال المنظم «براديغمان» هما: البرادغم الوظيفي والبراديغم التأويلي:

أ- البراديغم الوظيفي Le paradigme fonctionnaliste: ناقشنا في ما تقدّم،

---

(1) أرمان وميشال متلار، **تاريخ نظريات الاتصال**، ص 167.

(2) مي عبد الله، **نظريات الإتصال**، ص 283.

ثلاثة نماذج من نماذج التيار السوسيولوجي الوظيفي في دراسة ظواهر الإعلام الجماهيري التقليدي.

في جانب آخر، سندرس كيف يدرس هذا «البراديغم» ظواهر الإتصال المنظم».

من المسلّم به، جوهرياً، أن هذا البراديغم يتركز على تصوّر المجتمع كوحدة عضوية، إذ تفسّر عناصره بالوظيفة التي يشغلها.

فالمجتمع Société يعني التنظيم Organisation. فالمقاربة هنا، تتحدّد بالرؤية الوظيفية، في البحث السوسيولوجي، كما تبلور مع تالكوت بارسونز(*) (Talcot persons).

وفي حقل الإتصال المنظم، يعتبر البراديغم الوظيفي التنظيم Organisation كنسق(**) (نظام Systeme).

وفي ما يلي ترسيمة تبيّن أوجه الإتفاق والإختلاف بين المجتمع والإتصال من زاوية الوظيفية – البنائية:

السستام	الفعل	الأعضاء – الوظائف ترابط – تعاون	الهدف
1- الكائن العضوي	**الطعام، الشراب، النوم**	**الفم، المعدة، القلب إلخ..**	**حفظ الحياة**
2- المجتمع	**الأعمال، الوظائف، الأدوار**	**الأفراد – الجماعات**	**إشباع الحاجات، الإستقرار – التوازن**
3- الإتصال	**الإنتاج – التوزيع**	**الأفراد الشبكات – القنوات**	**التبادل والتفاعل مع الرسائل الإعلامية**

فالمقاربة الوظيفية هي: الكائن الحيّ (الجسم) يعمل (الأفعال) لإشباع الحاجات المحدّدة، عبر أجزاء مترابطة، متعاونة.

(*) تالكوت بارسونز (1902-1979)، عالم اجتماع أميركي، الأستاذ المحاضر في جامعة هارفارد . أنتج إطاراً نظرياً ضخماً يدّعي من حيث المبدأ قدرته على الإحاطة بكل جوانب الحياة الاجتماعية.

(**) النسق Systéme: كلمة شاعت ترجمتها إلى العربية «نظام»، في الإنكليزية: كلمة مركبة، أي مجموعة من الأشياء تعمل معاً وفقاً لآلية أو شبكة أو ترابط. مجموعة من الأشياء بينها صفات مشتركة.

• المجتمع: الأفعال ترتبط بإشباع حاجات البقاء والإستمرار، ويتكون المجتمع من أفراد يتعاونون على تحقيق هذه الحاجات، والأفعال تهدف إلى تحقيق التوازن وحالة من الإستقرار والنظام.

• الإتصال: الأفراد يعملون بطريقة التفاعل والتبادل (أي بطريقة متعاونة) لإنتاج وإيصال الرسائل.

والفعل الإتصالي كفعل إجتماعي يهدف إلى إيصال الرسائل والتفاعل على إزاءها. ومن أهم العمليات الإجتماعية: توصيل المعاني (الرموز والمعلومات).

فالمقاربة الوظيفية، تنظر إلى الأفعال على أنها وسائل لتحقيق غايات محدّدة (فوائد عملية، تحقيق قيم)، وهذه الأفعال يجب أن تفهم في إطار المعاني التي يخلعها عليها الأفراد.

فبارسونز يعتبر أن الحياة الإجتماعية لا تُرى إلاّ من خلال أفكار البشر: المعايير(*) والقيم(**).

من هذه العدسة، فإن الإتصال يوفرّ التفاعل والتبادل بين عناصر السستام، ويربط التنظيم لجعله منسجماً، إن شبكات الإتصال تسمح للأفراد بالعمل معاً كفريق، ويصبح الإتصال كنسق مفتوح.

إن التنظيم يؤثر في البيئة L'environnement، كما أن البيئة تؤثر في التنظيم، ويوفرّ الاتصال الإستقرار داخل التنظيم بالرغم من المتغيرات التي أثرت عليه (التكيف)(***).

المقاربة الوظيفية للبناء التنظيمي تعتبره كالإناء، منه توزع أدوار الأفراد، بحيث أن «السلوك المرتبط بكل دور يبقى ثابتاً بغض النظر عمّن يحتل تلك المكانة (هذا الدور)[1]». فهو، أي المجتمع ومؤسساته شبكة من الأدوار، محكومة بمعايير وقيم ثابتة.

فالبنى موجودة، مستقلة عن العمليات التي تخلقها أو تحوّلها، بما يرجّح «الحتمية»، فالأفراد نتاج البيئة... ويستجيبون بطريقة ميكانيكية (آلية) لمؤثراتها الخارجية.

(*) المعايير: القواعد المقبولة إجتماعياً التي يستخدمها البشر في تقرير أفعالهم

(**) القيم: ما يعتقده البشر عمّا يجب أن تكون عليه الحياة. وهي أيضاً لها تأثير في حياة البشر.

(***) التكيف adaptation: كل نسّق لا بدّ أن يتكيّف مع بيئته.

(1) إيان كريب، النظرية الإجتماعية، ص 72.

والإتصال كمادة ملموسة، يذهب من فوق (منتجو الرسائل) إلى تحت (الجمهور). إنه بنية ملموسة للأنشطة التي تحدث فجأة. إن الرسائل الإتصالية التي لها وضعيات زمانية مكانية، تحدث بصرف النظر عن المرسل والمتلقي إن نقل الرسائل ودراسة تأثير قنوات الإتصال تشكل مواضيع الدراسة المفضلة من وجه المدرسة الوظيفية.

على وجه الإجمال، فإنه بالنسبة للوظيفي، فالواقع يوجد بحدّ ذاته، ويكفي تحليله من الخارج لفهم جوهر العمليات الإتصالية»[1].

2- البراديغم التأويلي Le paradigme Interprétatif:

تختلف المقاربة التأويلية في الإتصال المنظم عن المقاربة الوظيفية. هذا النموذج من البحث، تتابعي، يتمحور حول دراسة المعاني (الدلالات)، أو (ما تدل عليه الكلمات)، حيث أن «الأفراد يعطون معنى Sens للعالم عبر تصرفاتهم الإتصالية»[2] (سلوكهم).

إن المقاربة التأويلية تسلّم أن صميم التأويلات يقع في الأفعال الإجتماعية، لهذا، فإن مهارة الإتصال بين الأفراد، كفاعلين عضويين يمكن أن تخلق وتبني الواقع الإجتماعي عبر كلماتهم، رموزهم، وسلوكهم.

فالتنظيم Organisation، لا يعتبر كواقع موضوعي (كما ترى المقاربة الوظيفية)، بل كبناء لمجموعة من المعاني، والإتصال Communication، لا يعتبر كرسائل (messages)، عبر التبادل والشبكات (كما ترى المقاربة الوظيفية)، بل كعنصر(élément)، يبني التواريخ، والأساطير، والطقوس داخل التنظيمات. فالمقاربة، إذاً، رمزية وليست حتمية.

بالنسبة لهذه المقاربة، الأمر المهم هو خلق المعاني المشتركة، هذه الرؤية الرمزية تجد معناها الإتصالي عبر التجربة المتبادلة، أكثر منها في نيّة المُرسل أو مراقبة Filtrage المستقبل.

التفاعل الإجتماعي يولّد المعاني، والمعاني تشكّل عالمنا. «وهذا يعني أننا نخلق عالمنا بما نخلع عليه من معانٍ: فقطعة الخشب هي قطعة خشب، غير أنها

---

(1) Alain laramée et Bernard vallé, Ibid, p 97.

(2) Ibid.

في حياتنا اليومية تصبح منضدة. وكلمة «منضدة» تعني الدور الذي تلعبه قطعة الخشب في عملية تفاعلنا: أي ذلك الشيء الذي نأكل عليه، أو تلك التي نعمل عليها... وكما أن تلك المعاني تتغيّر وتتطور، فإن العالم يتغيّر أيضاً معها ويتطور»[1].

فبناء المعنى، هو اهتمام أول للتفاعل التبادلي الرمزي. ومسألة جوهرية في نظرية الإعتماد على وسائل الإعلام والإتصال، من زاوية السؤال: «كيف يؤثر العالم الذي خلقته وسائل الإعلام والإتصال على الطريقة التي يفسر بها الأفراد والجماعات عوالمهم الشخصية والإجتماعية؟[2]».

إن مناهج البحث العائدة للمدرسة التأويلية تتجه لفهم الظاهرة الإجتماعية من إستخلاص الأبعاد الوحيدة للحالات، أكثر من استقراء القوانين العامة للسلوك الإجتماعي. التشديد، إذاً، على «هنا والآن» وعلى التجارب الشخصية للفاعلين في التنظيم، وفي حين يتحقق «الوظيفي» من الخارج، يتحقق التأويلي من الداخل.

إن المقاربة التأويلية، غالباً، ما تكون استقرائية، يعني أنه انطلاقاً من حدوس أو مفاهيم مسبقة Apriori، فإن الباحث يحاول إيجاد المعطيات التي تثبت أو تدحض تفسيراته. والنموذج أو الإطار التأويلي متحدّر أساساً من مجمل التقاليد الفلسفية والإجتماعية، خاصة المثالية الألمانية (إيمانويل كنط) [*].

إن الواقع الإجتماعي يوجد في «فكرة ما» أكثر من كونه يوجد في المعطيات والوقائع الحسية.

هكذا، فإن المقاربة التأويلية، بقدر ما تبحث عن العام، فإنها تنزع إلى تفسير ونقد الإجماع في التأويل المتولّد عن المعاني الشخصية، عبر منهج الملاحظة بالمشاركة.

---

(1) إيان كريب، **النظرية الإجتماعية**، ص 133.

(2) مي العبد الله، **نظريات الإتصال**، ص 243.

(*) إيمانويل كنط Emmanel Kant، (1724-1804)، فيلسوف ألماني كبير، مؤسس الفلسفة النقدية في أوروبا عام 1781، أخرج كتابه الأكبر «نقد العقل المحض «Gritique de la raison pure»، وفيه يثبت أن المعاني هي الشروط الأولوية المتعلقة بها المعرفة الحسية. وفي الكتاب يبيّن إلى أيّ حدّ تتطابق معاني الفعل ومدركات الحس، والإنطلاق من المقولات والمبادئ كشروط للمعرفة الحسية يعني أن «الطبيعة لكي تكون معلومة لدينا، يجب أن تطابق الشروط التي نستطيع أن يتصور وجودها عليها. وأن شروط الطبيعة تستنبط من شروط الفكر. فالإنقلاب الذي أحدثه كنط هو أنه جعل الأشياء تدور حول الفكر بدل أن يعتقد الناس أن الفكر يدور حول الأشياء». (يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة) ص 231.

وفي النهاية، فالباحث، هو الذي يبني، جزئياً، واقع فهم الإتصال المنظم، في محتواه ومادته.

إن «البراديغم» التفسيري (التأويلي): يستخدم، بصورة خاصة في حقل الإتصال المنظم Communication Organisationnelle، ويستلهم مقاربتين: المقاربة الطبيعية L'approche naturaliste، والمقاربة الثقافية L'approche culturelle.

●منهج الملاحظة بالمشاركة Méthode participant. هذا المنهج هو أساس الدراسات الميدانية في الانتربولوجيا الثقافية والاجتماعية.

ويتلخص في أن يشارك الباحث في الأنشطة الاجتماعية التي يمارسها أعضاء المجتمع. وبين الموضوع (الثقافة مثلاً) من خلال المشاركة. وذلك من خلال:

1- كسب ثقة المجتمع، عبر دور يؤديه.

2- لا يبدأ بطرح الأسئلة قبل أن يتعلم أسلوب الحياة الجديدة.

3- استخدام اللغة، المفاهيم، المشاركة بالطعام والكلام والاحتفالات والملابس.

4- كتابة تقارير يومية Field Nots عن كل صغيرة وكبيرة تقابله.

5- عندما تتضح له فكرة عامة عن أسلوب المعيشة في المجتمع (العمل في مؤسسة إعلامية) يبدأ في التحليل والكشف عن عناصر الثقافة والترتيب البنائي للمجتمع.

6- لا يكتفي الباحث بملاحظة ووصف ثقافة مجتمع ما، وإنما يحاول الكشف عن الترتيب البنائي الذي يكمن تحتها. أي أن يكشف عن النماذج والأنماط التي تمكنه من ملاحظة الثقافي ككل مترابط الأجزاء.

7- في كتابة التقارير اليومية، الأفضل تسجيل المعلومات في مكان الحادثة وأثناء حدوثها. فيتم إبعاد عامل التحيز في الإختيار Selection Bias[1].

تشمل المقاربة الطبيعية: التفاعلية الرمزية (interactionnisme Symbolique)، ومنهجية النظام الاجتماعي (L'ethno méthodologie).

1- **التفاعلية الرمزية**: هي أقدم التقاليد النظرية القائمة في علم الاجتماع

---

[1] عاطف وصفي، **الأنتربولوجيا الثقافية**، ص 285 – 288.

والمهتمة بدراسة التفاعلات الاجتماعية اليومية. من زاوية أن «المجتمع محادثة» وليس بنية أو تنظيم Organisation. كان مركز النظرية قسم الاجتماع بجامعة شيكاغو في عشرينات القرن الماضي. اعتمدت على الفكر البرغمائي(*) النفعي papragmatisme، وعلى التفسير الاجتماعي للإيكولوجيا (دراسة العلاقة بين الكائن والبيئة). تعتمد المنهج الأنتربولوجي، الملاحظة بالمشاركة. مؤسسها جورج سيمل وهربرت ميد (1863-1931)، والتفاعلية الرمزية تعود إلى فكرة وحدة الفعل الصغرى، على طريقة بارسونز. ومن مسلماتها أن «الفاعل يختار من بين أهداف ويختار الوسائل لتحقيق تلك الأهداف في موقف يتكون من موضوعات مادية واجتماعية، والاجتماعية تتضمن معايير اجتماعية وقيماً ثقافية[1]، تتطلب عملية خلق المؤسسات أن يوّجه الفاعلون أفعالهم نحو بعضهم البعض لتحقيق الإشباع المتبادل»[2].

إن الفرضيات المعتمدة في هذا النموذج أو المقاربة، كما يوضحها هاربرت بلومر(**) (1969) هي: 1- إن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم.

2- هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الإجتماعي في المجتمع الإنساني،

3- وهذه المعاني تحوّر وتعدّل ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها[3].

فما هو المعنى، وما هو الرمز؟

الرمز (Signe)، هو العلامة أو الكلمة. أقول مثلاً: منى الصوت هو «الدال» ومعنى الكلمة أي منى هو المدلول، فالرمز هو الـ Symbole، ومكوّن من: الدَّال (صوت Signifiant). ومن المدلول (مكون ذهني، فكري)، فالمعنى المتكوّن أو الذهني، أو ما دلَّ عليه الرمز بالنسبة لهذا الفرد أو ذاك هو التأويل.. والرمز

(*) الفكر البرغمائي Pragmatisme: مذهب أسسه شارل بيرس، وطوره وليم جيمس، وهو ينظر إلى الحقيقة Truth، بأنها في صميم التجربة الإنسانية أو الفعل البشري، وأن النظريات أدوات سلوك، وأن صدق الفكر بكونها ذات فائدة أو منفعة.

(1) إيان كريب، **النظرية الاجتماعية**، ص 130.

(2) م.ن.

(**)هاربرت بلومر (Harbert Blummer)، (1900-1986) أميركي من أهم روّاد التفاعلية الرمزية.

(3)إيان كريب، **النظرية الاجتماعية**، ص 132.

يستخدم لنقل رسالة ما شرط أن يدّل هذا الرمز على شيء.. «فالزهرة التي تنمو كي تحمّر خجلاً دون أن ترى فلا يمكنها أن تصبح رمزاً، لأن ليس هناك من شخص يمكن أن يحوّلها إلى رمز. أما حين «توجد الزهور ضمن ثقافة من الثقافات فإنها يمكن أن تتحول إلى رموز، عندما يصنع منها إكليل وترسل إلى جنازة، هنا يكون الإكليل دالاً قد نعبّر عن مدلوله بقوله «تعازينا»[(1)].

وهكذا فالمقاربة الطبيعية تبحث في نهج الأنظمة الرمزية في التنظيم، القواعد والمعايير التي تؤلف الروتين، والممارسات المنتظمة اليومية.

2- **منهجية النظام الإجتماعي**: وهي تعني دراسة أساليب الشعوب في خلق النظام الإجتماعي. والتنوميتودولوجيا[(*)] هي النموذج الثاني من مناهج السوسيولوجيا التأويلية، التي استمدت عناصر من أعمال جورج سيمل، وجورج هربرت ميد، وهي تهدف إلى دراسة المنطق العملي للحس العام في الأوضاع المألفة للفعل، ويحلل «البحث الإثنومتودولوجي الأنشطة اليومية باعتبارها المناهج التي يتبعها الأعضاء لجعل هذه النشاطات تظهر بشكل منطقي مرئي وممكنة الوصف (بمعنى إمكان أن تقدّم تقريراً عنها) باعتبارها تنظيماً للنشاطات اليومية العادية[(2)]».

ومؤسس هذا التيار هارولد غار فنكل Marold Garfinkel (1987 – 1917) تلميذ بارسونز، والأستاذ بجامعة كاليفورنيا من خلال كتابه المعنون «دراسات في الإثنومتودولوجيا Studies in Ethmomthodolgy، الذي صدر سنة 1967»[(3)].

وتتركز منهجية النظام الاجتماعي على دراسة المواقف واللغة، والفكرة الأولى، هي الطبيعة الفهرسية (Endexicality)، للمعنى، فعمل اللغة يشبه عمل الفهرسي في المكتبة، الذي يحيلنا إلى أعمال أخرى في الموضوع نفسه، وكذلك اللغة فكل كلمة من كلماتها يحيلنا معناها إلى سياقها[(*)] والمواضع التي تناسبها من كلمات أخرى.

---

(1) جون ستروك، **البنوية وما بعدها**، ص 15.

(*) ethnomethodologie: منهجية النظام الاجتماعي، ومؤلفة من دراسة logy، أساليب method، الشعوب ethno، في خلق النظام الإجتماعي.

(2) أرمان وميشال ماتلار، **تاريخ نظريات الإتصال**، ص 149.

(3) م.ن، ص 148.

(*) السياق: يتضمن في حالة المحادثة نبرة الصوت، تعابير الوجه واستخدام الإيماءات، وعليه فإن الجملة التالية: أنا قادم الساعة الخامسة قد تعني وعداً أو وعيداً أو رجاءً. (محمد حسين غلوم، في النظرية الإجتماعية، هامش، ص 157).

أما الفكرة الثانية، فتعالج مسألة قدرتنا على التصرف كما لو أن المعاني واضحة. في إشارة إلى خاصية البصيرة(**) Reflexivity، «التي نمتلكها بوصفنا بشراً، والتي تظهر في حديثنا عن أفعالنا ومواقفنا(1)».

وأشار غارفنكل Garfinkel، إلى هذا النشاط بوصفه «التوقعات الناشئة من الخلفية (Background expectancies)، وهي أشكال مستمدة من السليقة المسلم بها دون نقاش، ومنهجية النظام الإجتماعي هي نظرية في «المعرفة الإجتماعية»، أو نظرية عامة عن الأشخاص والأفعال، وهي «نظرية عن الطريقة التي نتفق بها على ما يتشكل الواقع الإجتماعي منه(2)».

إن مهمة العالم الإثنويدولوجي تشخيص العمليات التي من خلالها يدرك الناس مَنْ هم. إن الحدث الإجتماعي ليس معطى، انه خلاصة لنشاط الأشخاص، من أجل إعطاء معنى لممارساتهم اليومية. إنه مخطط الإتصال، يحل محل مخطط الفعل، وقدرة المتلقي على انتاج المعنى، وعلى تطوير آليات التأويل.

2- المقاربة الثقافية Approche culturelle:

يعرّف كليفورد غيرتز(*) الثقافة بأنها «عبارة عن عالم يصنعه الإنسان، وتمكنه من صُنْعِه القُدْرةُ على الترميز، على إلحاق معانٍ غير مباشرة تجريدية، بالأشياء والأحداث(3)».

والمقاربة الثقافية للمنتظمات الإجتماعية، تتمثل بدراسة الأنتربولوجي لأشكال العمل، الفولكلور، الطقوس الثقافية (الموت، الزواج، الفرح). تنهض المقاربة، مثلاً، على دراسة الحقيقة المبتناة، إنطلاقاً من الأفراح، التاريخ، الأساطير، آداب السلوك إلخ..

من هذه الزاوية، فإن الاشتراك بالمعايير والطقوس تزوّد الأفراد بأرضية رمزية مشتركة. إن المقاربة الثقافية يمكن أن تفسّر النزاعات، الإخلال بالتعهد، والالتزام وتبريرات السلوك، وتسمح بتوقع مستقبل الأحداث الإتصالية.

(**) البصيرة Reflexivity، الملكة التي تمكن البشر من تأمل مواقفهم الذاتية، (م.ن، ص 158).

(1) إيان كريب، **النظرية الإجتماعية**، ص158.

(2) م.ن، ص8.

(*) كليفورد غيرتز (Clefford Greetz)، أستاذ العلوم الإجتماعية في معهد الدراسات المتقدّمة في برنستون/ نيوجرسي.

(3) كليفورد غيرتز، **تأويل الثقافات**، ص 13.

الخاتمة

ليس من اليسير في صورة ما تقدَّم، الخروج بما يشير إلى رضى علمي عن مجرى البحث في علوم الإعلام والإتصال وفقاً للمنهجية «البراديغية»، ذلك لأن البراديغم يرتبط بالعلم الناضج، وهو النظرية الأفضل لدى الجماعة العلمية، والتي تكسب الحجة، في دراسة الظواهر، فضلاً عن اعتباره عملية «غشتلطية»(*) فهو يرتبط بالنظرة الميتافيزيقية للعالم، وهو يجمع النظرية إلى الإجراءات، والمعايير والقواعد البحثية، فضلاً عن التقنيات، أي مجمل الأدوات الفكرية، بتعبير كون نفسه.

ومن زاوية النظر البراديغمي، وعلى الرغم من أن علوم الإعلام والإتصال حديثة العهد، منذ ستينات القرن الماضي (نصف قرن)، فإنها آخذة بالتحوّل إلى علوم ناضجة: لها نظرياتها، ومناهجها، وتقنياتها ومقارباتها المعرفية، فضلاً عن المفاهيم والمسائل المتصلة بالظاهرة الإتصالية كظاهرة إنسانية وإجتماعية.

1- ليس بإمكان أحد من الجماعة العلمية، في حقل الإعلام والإتصال أن يتجاهل النظريات التي ظهرت حول الإعلام والإتصال: من نظرية لاسويل إلى نظرية وينر- شانون الرياضية إلى نظرية وسائط الإعلام الجماهيري، من زاوية الوظيفة والتأثير، وصولاً إلى نظرية الإتصال التفاعلي (مدرسة بالو ألتو) (L’école de palo-alto), التي تنظر إلى ماهية الإتصال كسيرورات تفاعلية، بالإعتماد على المقاربة النسقية، وهي الفكرة التي توقف عندها جان شارون (Jean charron) في محاضرة له في جامعة سلسا (salsa) باريس (2 حزيران 2007)، بعنوان «التحوّلات البراديغمية في الصحافة» (les mutations paradigmatiques du jour nalisme)، إذ لاحظ أن القواعد والمهارات والإنتاج الصحفي، تتمتع بخصائص النسق (Système), فتغيّر وظائف بعض أجزائه يؤدّي الى تغيُّر

(*) من الكلمة الألمانية (Gestalt) ومعناها شكل أو صورة، وهو يعتبر، في علم النفس، ما يصنعه بالبناءات النفسية «كليات منظمة أو غشطلت. وليست الأحاسيس أولية وأساسية في الأنا الفرد.

الوظائف في الأجزاء الأخرى.

ويفضل شارون استخدام مصطلح «براديغم» في الكلام على التحولات في الصحافة من المخبر (الثرثار) (Gazétier) في القرن السابع عشر إلى المدوّن على الانترنت في القرن الواحد والعشرين (blogueur)، يفضّل استخدام «البراديغم» بمعنى الإطار، الذي يتضمن فكرة تقليد النماذج، وهو نظام من القواعد، وعلاقة جديدة بين القاعدة والتطبيق.

2- ومع ذلك، فإن علم الإعلام يشترك مع العلوم الإنسانية والإجتماعية، إلى حدّ ما، بأنه يفتقر إلى نظرية أو نظريات تسمح بتفسير القوانين والنماذج التجريبية بطريقة علمية وعقلانية، بسبب أن التطبيق يسبق النظرية، في الإعلام والصحافة، وتصبح النظرية وراء الأحداث التي تسعى لفهمها فيحدث الفصل بين النظرية والأحداث.

فدراسة السلوك الجماهيري، في ضوء نظرية سيكولوجيا الحشود (غوستاف لوبون) خلال الحرب العالمية الأولى، أو الثانية في أوروبا، تختلف عنها في دراسة سيكولوجيا الحراك الجماهيري - الشعبي في البلدان العربية، منذ 25 يناير (كانون الثاني) 2011 إلى أيامنا هذه.

بيد أن الباحث، لا ينطلق من فراغ، فدراسة الظاهرة الإتصالية أو الأعلامية، باتت تنطلق من نظريات براديغمية (نظرية لاسوال) أو النظريات التفاعلية، فضلاً عن النماذج والمقاربات، لا سيما في البراديغم الوظيفي والتدفق الثنائي للاتصال» إلى «الاستخدام والإشباع»، و «وضع الاجندة»، إضافة إلى مقاربات في البحث، من زاوية النموذج الاجتماعي Modélisation sociale.

3 - **على مستوى المفاهيم**: مما لا شك فيه أن التحولات المفاهيمية، طوّرت حقول البحث في علوم الاعلام والاتصال، وفتحت المجال أمام «براديغمات» جديدة، تتخطى ما هو معمول به. فالبراديغم الجديد يتضمن تعريفاً جديداً، أكثر صرامة في ميدان البحث: لاحظ الفرق، مثلاً، بين التعريفين التاليين: التعريف الاول: الإعلام هو عملية نشر وتقديم معلومات صحيحة وحقائق واضحة وأخبار صادقة ووقائع محددة راجحة للجماهير مع ذكر مصادرها خدمة للصالح العام، والتعريف الثاني: الإعلام معرفة نقلت تتعلق بحقيقة معينة، أو موضوع أو حدث.

إن إمعان النظر لاستخلاص الفروقات - التحولات بين التعريفين، يدفع

الباحث إلى التوقف عند: استبدال «عملية نشر وتقديم المعلومات...» بـ «معرفة نقلت تتعلق بحقيقة معينة أو موضوع أو حدث...».

نقل المعرفة، يعني استخدام الوسيط الإعلامي (الصحيفة، الراديو، التلفزيون، الانترنت). والمعرفة اقتربت أكثر من معنى الرسالة المحددة في «نيّة المرسل»، فالمسألة قد «تتعلق بالصالح العام» والمعرفة لا تقتصر على الأخبار أو الأحداث أو الوقائع، بل قد تنقل الانطباعات والمؤثرات، والمواقف والتعليقات. فالإعلام كمعرفة يتخطى الإعلام كإخبار، من زاوية المعاني الإدراكية، أي ما يقف وراء الخبر او الحدث، ويشكل وعي الجمهور (الحقائق الإدراكية كما تقدّمها وسائط الاتصال الجماهيري).

وهكذا، فنظرية التأثير والقناة التي تحدث عنها لاسويل، تطرح إشكالية طبيعة التأثير ومصدره، وفعله، أي السلوك: فالتأثير لا يمكن أن يتحوّل إلى سلوك ما لم يكن «معرفة محفّزة»، هو عبارة عن وعي اكثر منه «تخذيراً» أو شحناً للعواطف والأحاسيس.

مع الإعلام التقليدي، المرئي، ومع الإعلام الجديد: وسائط التواصل الاجتماعي، لم يعد المصدر ذي أهمية، ولم تعد المسألة تتعلق بالآداب الإعلامية أو الخلقية الصحفية، صار بإمكان المتلقي أو المستقبل، أن يعيش الحدث، بأقل احتمالية ممكنة من الخداع.

أتاحت التغطية التلفزيونية، من زاوية أن «الكاميرا لا تكذب» المجال أمام أنماط جديدة من الدعاية السياسية، أو الحربية، أو حتى الإعلانية، ولم يعد بإمكان أي حكومة، أو مشروع تجاري أو منظمات كبرى ان تدير دعاية ناجحة، من دون وسيلة تلفزيونية.

ومن هذه الزاوية، اختلطت الوقائع بالبعد الدعائي. وإذا كانت «الكاميرا لا تكذب» لكن الكاميرا تنحاز، فهي تنتقي صورة مؤثرة، من هنا، وتغيّب صورة مؤثرة من هناك.

لقد حوّل الإعلام الجديد، بقدرته على التأثير نظرة القوى المالكة للنظم الاتصالية الكبرى القديمة والجديدة إلى وقائع مادية، قادرة على بناء سياسات واستراتيجيات. وقامت الفكرة مقام المصلحة. وتركزت مفاصل الدعاية على

الأهداف السياسية البعيدة: «الإرهاب»، «النظام الشمولي»، حقوق الإنسان، الشفافية، الفساد، «تداول السلطة»... إلخ، وصارت هذه المفاهيم «قنابل إعلامية» فتّتت وعي الجمهور، وزعزعت كياناته الفكرية والعقيدية، منذ الحرب الدعائية ضد النظم الشيوعية، وصولاً إلى أنظمة الحكم في العوالم الثلاثة: الثالث، والإسلامي، والعربي.

4 - **الرسالة لا الوسيط**: وهي مسألة مهمة وجديرة، في أن تتحوّل إلى حقل بحثي. فإحلال التركيز على الرسالة لا على الوسيط (القناة الاتصالية)، من شأنه أن يساهم في إعادة إنتاج رأي عام يتعلم اتخاذ القرار، بدلاً من أن يُتخذ القرار عنه، وينصاع هو إلى أحكامه ومتطلباته.

فالمعرفة الحقة تستلزم الثقة وبناء الآراء على قاعدة معرفية صائبة، توفرها وسائط الاتصال، وهو أمر مهم لبناء عوالم ومجتمعات، تحتاج إلى الحوار والتفاهم والاستقرار، فتصبح وسائل الاتصالات بعيدة المدى، وتكنولوجيا الأقمار الصناعية قادرة على مدّ النّاس بالأنباء والآراء، التي تشكّل افكارهم، وتبني أنماط حياتهم وثقافتهم الجديدة.

5 - يبدو الباحث، غريباً عن الظاهرة الإعلامية أو الاتصالية، التي يدرسها، فهي تجري، سواء، وفقاً للنموذج الخطي من نقطة بدء إلى نقطة انتهاء، أو النموذج التفاعلي (رجع الصدى Feed Back) بالاتجاهين. وهذا ما يجعل علوم الإعلام والاتصال تنتسب الى نسق العلم الحديث، كعلوم إخبارية تتحدث عن وقائع وأحكام وتفسيرات.

لكن الواقعة الإخبارية الصحفية، باتت تواجه داء ضعف الموضوعية، أو اختلاط الموضوعية بالنفعية، وتحوّل ناقل الخبر، إلى شارح ومفسر ومعلق، الأمر الذي حوّل الإعلام إلى تبليغ رسالة إلى القارى أو المشاهد أو المستمع، بغية استمالته إلى جانبه كمشكل للرأي العام.

والإعلام كمنتج، هو مادة ذهنية، فكرية، يصيبها هذا الاختلاط بين الخبر والتعليق بالتشويش، ويفاقم من خطر الالتباس في تكوين الوعي لدى الأفراد أو الرأي العام، بما يخدم الدعاية على حساب الإعلام الموضوعي، الصحيح، ويحل ثقافة التعمية محل ثقافة التنوير، وتصبح المادة التي يدرسها الباحث، والحال، لا توفّر له قواعد الحياد، ولا حتى معايير العلمية.